

التعصب للمذهب الفقهي
وأثره على كتابات المؤرخين
من القرن الخامس حتى نهاية الثامن الهجري
«ابن الجوزي في كتابه المنتظم نموذجًا»

إعداد

د/ صلاح عبدالمولى السيد الشورى

المدرس بقسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية بالقاهرة

حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الثالث والثلاثون)

التعصب للمذهب الفقهي وأثره على كتابات المؤرخين من القرن الخامس حتى نهاية الثامن الهجري «ابن الجوزي في كتابه المنتظم نموذجا».

صلاح عبد المولى السيد الشورى

المدرس بقسم التاريخ والحضارة -كلية اللغة العربية بالقاهرة- مصر.

البريد الإلكتروني: salahalshura@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يعد التعصب المذهبي من أكثر الأمور التي عانى ولا يزال يعاني منها المجتمع الإسلامي بصفة خاصة والعالمي بصفة عامة. ويعد التعصب من الأمور التي أصابت الأمة بالجمود والتخلف الفكري، وقسمها إلى فرق متنافرة متناحرة، وأبعدها عن قضاياها الجوهرية في وحدتها إلى اهتمامات هامشية مذهبية.

والمطالع لكتابات المؤرخين المسلمين يجد أنهم اختلفوا في طريقة تناولهم للمخالفين لهم في أفكارهم ومذاهبهم، ما بين متعصبين لفكرهم ومذهبهم ناقدين لغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى مستخدمين ضدهم أقصى عبارات السب والنقد. وفريق ثانٍ كان غير متعصب أو منحاز لمذهبه، يأخذ عن جميع العلماء على مختلف أفكارهم ومذاهبهم أخذ العالم الواعي غير المتعصب، وعندما يتحدث عنهم يذكر محاسنهم ومفاسدهم دون تحيز أو تعصب أو هوى منه.

ولقد كان ابن الجوزي « جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المتوفى عام ٥٩٧هـ /١٢٠٠م» من المؤرخين الذين اختلفت الآراء حول مدى تعصبه لمذهبه الحنبلي ومدى تأثير ذلك التعصب المذهبي على كتاباته التاريخية.

إلا أن هذا التعصب الذي اتسم به ابن الجوزي – في كثير من الأحيان- كان نابعا من غيرته على الإسلام، فقد كان ينشد أن يصل المسلم إلى درجة كبيرة من الالتزام الديني والأخلاقي والتربوي؛ لذلك نجده قد صنف مؤلفات متعددة في مجال الأخلاق والتربية والدعوة للتدين.

كما أن هذا التعصب من ابن الجوزي كان تجاه من يرى – من وجهة نظره- أن أفكاره أو عقيدته كان فيها ما يستوجب نقده والطعن فيه، أما من كان يرى أنه ليس فيها ما يوجب الطعن كان يتحدث عنه بكل حيادية وموضوعية.

كما أن تعصب ابن الجوزي تجاه مخالفيه في المذهب لم يكن سببه الغيرة أو الحقد، بل كان الهدف منه الوصول إلى الأمل المنشود منه في الحياة، وهو كمال الدين والعقيدة والأخلاق، فلو كان هذا التعصب بدافع الحقد والغيرة لما نال ابن الجوزي تلك الشهرة والمكانة العلمية بين علماء التاريخ والحضارة الإسلامية. فرغم أوجه النقد التي وجهها العلماء لابن الجوزي فإن ثنائهم عليه والاعتراف بمكانته لم يخالف فيها أي من علماء الأمة الذين عُرف عنهم الحيدة والإنصاف.

الكلمات المفتاحية: التعصب- المذهب الفقهي- المؤرخون- القرن- الخامس الهجري- الثامن الهجري- كتاب المنتظم- ابن الجوزي.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الثالث والثلاثون)

The intolerance of juristic doctrine and its impact on the writings of historians from the fifth century until the end of the eighth AH.
Ibn al-Jawzi in his regular book as a model

Salah Abdel-Mawla El-Shoura
Lecturer, Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Cairo
Email: salahalshura@azhar.edu.eg
Abstract: Doctrinal fanaticism is one of the things that the Islamic community in particular and still suffering from, in general, suffers from. And intolerance is among the issues that struck the nation with stagnation and intellectual retardation, dividing it into opposing rival factions, and distancing it from its core issues of unity into sectarian and marginal concerns.

And those familiar with the writings of Muslim historians find that they differed in the way they deal with those who violate them in their ideas and doctrines, between fanatics of their thought and doctrine critical of other owners of doctrines using against them the utmost words of insult and criticism. And a second team was non-fanatic or biased towards its doctrine, taking from all scholars on their various ideas and doctrines I take the conscious world that is not fanatic, and when he talks about them he mentions their advantages and spoils without prejudice or intolerance or distraction from it.

Ibn al-Jawzi «Jamal al-Din, Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad, who died in 597 AH / 1200 CE) was among the historians who differed opinions about the extent of intolerance to the Hanbali school of thought and the impact of that sectarian intolerance on his historical writings.

However, this intolerance that characterized - in many cases - stemmed from his zeal against Islam, as he sought to reach a large degree of religious commitment to the

Muslim, ethical, and educational; therefore we find a variety of literature in the field of ethics, education and advocacy of religiosity.

Also, this intolerance from Ibn Al-Jawzi was towards those who saw - from his point of view - that his ideas or belief contained what needed to be criticized and challenged, and whoever saw that there was nothing that required the appeal was talking about it in a neutral and objective manner.

Also, Ibn Al-Jawzi's intolerance towards his opponents in the doctrine was not caused by jealousy or hatred, but rather was aimed at achieving the desired hope in life, which is perfection of religion, belief and morals. Islamic history and civilization. Despite the criticisms leveled by the scholars towards Ibn Al-Jawzi, their praise for him and the recognition of her position did not contradict any of the nation's scholars who were known to be neutral and fair.
Key words: fanaticism - the doctrine of jurisprudence - historians - the fifth century AH - the eighth century AH - the book of the regular - Ibn al-Jawzi.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من والاه واتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد ،،،

يعد التعصب من أكثر الأمور التي عانى ولا يزال يعاني منها المجتمع الإسلامي بصفة خاصة والعالمي بصفة عامة. ويعد التعصب من الأمور التي أصابت الأمة بالجمود والتخلف الفكري، وقسمها إلى فرق متنافرة متناحرة، وأبعدها عن قضاياها الجوهرية في وحدتها إلى اهتمامات هامشية مذهبية.

كما أن التعصب ظاهرة اجتماعية شديدة الخطورة؛ فهو العائق الأساس أمام كل أشكال التقارب بين الأفراد والجماعات والشعوب والمؤسسات؛ وذلك لأنه يكرس أسباب الفرقة، ويهدم ما هو قائم من قواعد الاتفاق والوحدة، خاصة عندما تتخذ أشكالاً عدوانية عنيفة سافرة وهو قديم في التاريخ البشري، ومستمر في أيامنا في مناطق مختلفة من العالم، ولكن بدرجات متفاوتة، سواء في العلاقات بين الأمم والقوميات، أو الأديان وكذلك الطوائف الدينية داخل الدين الواحد.

والمطالع لكتابات المؤرخين المسلمين يجد أنهم اختلفوا في طريقة تناولهم للمخالفين لهم في أفكارهم ومذاهبهم، ما بين متعصبين لفكرهم ومذهبهم ناقدين لغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى مستخدمين ضدهم أقصى عبارات السب والنقد. فكانوا يرون أنهم وأصحاب مذهبهم هم الفرقة الناجية التي تحدث عنها النبي ﷺ في الحديث الذي رواه معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: قام فينا رسول الله، فقال" ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة

في الجنة، قالوا: يا رسول الله وما تلك الواحدة قال: هو ما أنا عليه اليوم وأصحابي (١).

وفريق ثانٍ كان غير متعصب أو منحاز لمذهبه، يأخذ عن جميع العلماء على مختلف أفكارهم ومذاهبهم آخذ العالم الواعي غير المتعصب ، وعندما يتحدث عنهم يذكر محاسنهم ومفاسدهم دون تحيز أو تعصب أو هوى منه.

ولقد كان ابن الجوزي « جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المتوفى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م» من المؤرخين الذين اختلفت الآراء حول مدى تعصبه لمذهبه الحنبلي ومدى تأثير ذلك التعصب المذهبي على كتاباته التاريخية.

ونظرا لخطورة التعصب المذهبي على الأفراد والمجتمعات والذي يؤدي إلى حدوث مشكلات اجتماعية خطيرة تودي بالمجتمعات وتهوي بها إلى هواتٍ سحيقة لا تستطيع الخروج منها؛ جاء الحديث عن هذا الموضوع الذي يعد الهدف منه بيان خطورة التعصب المذهبي على الأمم بصفة عامة وأمتنا الإسلامية والعربية بصفة خاصة.

ونظرا لما سبق من بيان مدى خطورة التعصب؛ أردت الحديث عن التعصب المذهبي ومدى تأثر المؤرخين به في كتاباتهم التاريخية، وذلك لدحض من يتهم جل المؤرخين المسلمين بتعصبهم تجاه المخالف لهم بصفة

---

(١) أخرجة أبو داود "سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م" سنن أبي داود، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، د.ت، ج٤، ص ١٩٨، حديث رقم ٤٥٩٧، وأخرجه الترمذي "عيسى بن سَوْرة بن موسى ، ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م" سنن الترمذي، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٤، ص ٣٢٣، حديث رقم ٢٦٤١، وأخرجه الحاكم "أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: ٤٠٥هـ/١٠١٤م" المستدرك على الصحيحين، تحقيق، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام١٤١١/١٩٩٠م، ج١، ص٢١٨. وقال عنه حديث صحيح تقوم الحجة على صحته بأسانيده المتعددة.

عامة، وفي المذهب الفقهي بصفة خاصة، فإن كثيرا من المؤرخين كان غير متعصب؛ يأخذ عن المخالفين له في مذهبه، بل يسافر قاطعًا الصحاري والدروب والأودية ليأخذ عنه حديثًا واحدًا أو ينقل عنه رواية واحدة، وأيضا؛ لبيان أنه إذا كان هناك من يتعصب من المؤرخين عند التأريخ لمن يخالفه، فإن تعصبه في كثيرٍ بل في أكثر الأحيان لم يكن كما يُشيع بعضهم بسبب الغيرة والكراهية، ولكن كان الهدف منه الوصول إلى الأمل المنشود في الحياة: وهو كمال الدين والعقيدة والأخلاق.

وسوف يقتصر الحديث خلال ذلك البحث على التعصب المذهبي من الناحية الفقهية فقط، لأن –بلا شك– الاختلاف في المذاهب التي تختلف في الأمور العقائدية فإن التعصب سوف يجد له سبيلًا إلى أقلام المؤرخين؛ لأن الخلاف ليس مجرد خلاف في الفروع إنما في العقيدة وأصولها، والعقيدة أحد أسس شخصية أي إنسان.

وسوف يكون الحديث خلال هذا الموضوع في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: فهو تحت عنوان : في بيان التعصب، وسيكون الحديث فيه عن تعريف التعصب لغة واصطلاحا، وأنواع التعصب، وتعريف كل نوع منها بصورة موجزة، وكذلك تناول القرآن الكريم والسنة النبوية للتعصب، ونهي القرآن الكريم ومعه السنة النبوية عنه والتحذير منه كل الحذر، وبيان عاقبة المتعصب، كما سأتحدث خلال هذا المبحث عن ظهور التعصب المذهبي وتطوره.

المبحث الثاني: ويأتي تحت عنوان: المؤرخون وطريقة تناولهم للمخالفين لهم في المذهب. وسأتحدث فيه عن أقسام المؤرخين من حيث تناولهم للمخالف لهم في المذهب ومدى تأثرهم بهذه المخالفة في التأريخ والترجمة للمخالفين لهم في مذاهبهم الفقهي.

المبحث الثالث: ابن الجوزي ومنهجه في التعصب، وسوف أتحدث فيه عن

ابن الجوزي من ناحية حياته الاجتماعية والتي بلا شك أثرت في أفكاره وطريقته في كتاباته بصفة عامة والتاريخية بصفة خاصة. ثم الحديث عن منهج ابن الجوزي في التأريخ والترجمة للمخالفين له في المذاهب من خلال كتابه المنتظم؛ وذلك لبيان مدة تعصبه تجاه المخالفين له في المذهب الفقهي من عدمه. ثم نختمه بالحديث عن ابن الجوزي في ميزان العلماء، لبيان آراء العلماء فيه من ناحية المدح والثناء أو العكس.

ثم يعقبها خاتمة لأهم نتائج البحث، وفهرست للمصادر والمراجع .

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات فكرة التعصب وتطوره التاريخي، إلا أنها لم تتناول التعصب للمذهب الفقهي وتأثير ذلك على كتابات المؤرخين عند تناولهم للمخالفين لهم في المذهب، ومن هذه الدراسات:

١- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي « مظاهرة – آثاره- أسبابه- علاجه» لمؤلفه د. خالد كبير علال، نشر دار المحتسب عام ٢٠٠٨م، عمان، الأردن، وتناول فيه التعصب وتطوره وأسبابه.

٢- التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهما في الدعوة الإسلامية لمؤلفه د. حسن الجوجو، بحث منشور بمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ٢٠٠٥م، تناول فيه أثر التعصب المذهبي على الدعوة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي.

٣- التعصب المذهبي وموقف المالكية منه، لمؤلفه د. فرج رمضان الشبيلي، بحث منشور بمجلة التربوي، جامعة المرقب، ليبيا، يناير ٢٠١٩م، وتناول فيه موقف علماء المالكية من التعصب لمذهبهم ، وركز فيه بصفة خاصة على التعصب من الناحية الفقهية.

المبحث الأول

في بيان التعصب

أولا : التعصب لغة واصطلاحا ، وأنواعه.

التعصب في اللغة: من العصبية، وهي: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والوقوف معهم، على من يناوئهم وينازعهم سواء كانوا ظالمين أو مظلومين(١). ومن معانيه أيضا: المحاماة والمدافعة. وتعصبنا له ومعه: نصرناه(٢).

ويطلق أيضا في اللغة على الشخص سريع الانفعال، فيقال: رجل متعصب أو عصبي، سريع الغضب والانفعال (٣).

أيضا يعرف التعصب بأنه: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التمادي في الميل والانحياز (٤).

أما في الاصطلاح: التعصب(Fanaticism)(٥)مشتق من الاسم اللاتيني«الحكم المسبق Praejudicium »(٦)، وقد اختلفت التعريفات حول مفهوم التعصب، فمنهم من عرفه بأنه: غلو المرء في اعتقاد صحة ما يراه متحمسا له، مع إغراقه في استنكار صحة ما هو ضد ذلك الرأي (٧).

---

(١) ابن منظور" محمد بن مكرم بن على، ت: ٧١١هـ/ ١٣١١" لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١، ص٦٠٦، (مادة عصب).

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٠٦، الزَّبيدي" محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، ت:١٢٠٥هـ/١٧٩٠م" تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ج٣، ص ٣٨٢.

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٢، ص ١٥٠٦.

(٤) أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج٢، ص ١٥٠٥.

(٥) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" عربي ـ انجيلزي ـ فرنسي"، مكتبة لبنان ، بيروت، ط١، ١٩٧٨م، ص ١٥٤.

(٦) معتز سيد عبد الله: الاتجاهات التعصبية، منشورات عالم المعرفة، ١٩٨٩م، ص ٤٢.

(٧) إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٣م، ص ٤٩، أشرف أبو الدهب، المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٦٥.

ومنهم من عرفه بأنه: شعور داخلي يجعل الإنسان يتشدد؛ فيرى نفسه دائما على حق، ويرى الآخر على باطل بلا حجة أو برهان، وذلك باعتقاده أن القدر اختاره ليكون هو على الحق دون غيره، بدافع من جنون العظمة التي قد تصيب ذلك المتعصب [١].

فالتعصب حالة خاصة من التشدد الفكري أو العقائدي؛ حيث يجسد اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات أو طوائف أخرى، فالتعصب قد يأخذ صورة عقدية أو دينية أو سياسية متطرفة تتميز بدرجة عالية من الانغلاق والتصلب، حيث تحتل إدارة التغلب على إدارة الإقناع[٢] التي تجعل المتعصب يصادر اجتهادات الآخرين، ولا يعترف لهم بوجودٍ وإن كانوا علي صواب، فهو صاحب الحق، ومن خالفه في الرأي فهو مبتدع وضال، وإن كان على حق، ولا يمكن أن يكون بينه وبين من يخالفه في الرأي أو الاجتهاد نقطة وصول أو تقارب، بل إن بينهما بُعدٌ كما بين المشرق والمغرب [٣].

فالمتعصب يُعد شخصًا جامدًا مقلدا لغيره دون إعمال لأي درجة من درجات الفكر والعقل، ويعلق الإمام أبو حامد الغزالي على جمود المتعصب عند فكره وتقليده لغيره فيقول:[٤] «ثانيها: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفا على مسموعه، فإن

(١) أندرية هاينال وآخران، سيكولوجية التعصب، ترجمة، خليل أحمد خليل، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ١٣، علي قادر زيدان، التعصب عند الإسلاميين قديما وحديثا- دراسة نقدية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا ، الأردن، عام ٢٠١٢م، ص ٢٨.

(٢) علي أسعد وطفة: التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، نشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات المتحدة، ط١، عام ٢٠٠٢م، ص ٢٩.

(٣) علي قادر زيدان، التعصب عند الإسلاميين، ص ٢٧.

(٤)" محمد بن محمد بن أحمد، ت: ٥٠٥هـ/١١١١م" إحياء علوم الدين، دار المعرفة ، بيروت، ط١، عام ١٩٨٢م، ج١، ص ٢٨٤.

لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك».

ومما سبق يتبين أن هذه التعريفات التي تناولت التعصب قد ركزت على الجانب السلبي دون التركيز على الجانب الآخر وهو التعصب الإيجابي، والذي يعني الانتصار للحق والوقوف بجانبه (١).

أما عن أنواع التعصب، فقد تعددت أنواعه؛ وذلك تبعا لأسباب كل نوع والغرض الذي ظهر من أجله ، ومن أنواع التعصب :

أـ التعصب الديني: هو تعصب الشخص لدينه مع إرغام الآخرين على الخضوع لهذا الدين وكراهية غير المؤمنين به، بل وقتالهم(٢).

٢ـ التعصب القبلي: وهي تضامن قوم تجمعهم آصرة النسب، مع نصرة بعضهم بعض ضد من يناوئهم سوءا كانوا ظالمين أو مظلومين (٣) فعن واثلة بن الأسقع(٤) قال: قلت: يا رسول الله ﷺ، ما العصبية؟ قال: «أن تعين قومك

---

(١) خالد كبير علال: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، عمان، الأردن، د. ط، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، ص٧، معتز سيد عبد الله، الاتجاهات التعصبية، ص ، ٤٣.

(٢) عبد الوهاب الكيالي وآخرون: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، د.ت، ج١، ص ٧٨٨.

(٣) خالد عبد الرحمن الجريسي: العصبية القبلية من منظور إسلامي، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، ط١، د.ت، ص ٢٣.

(٤) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل من بني كنانة. ويكنى أبا قرصافة. كان ينزل ناحية المدينة. ثم وقع الإسلام في قلبه فقدم على رسول الله ﷺوهو يتجهز إلى تبوك فأسلم وخرج مع رسول الله ﷺإلى تبوك. وكان من أهل الصُفة. توفي عام ٨٥هـ. ابن سعد " أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، البغدادي، ت : ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م" الطبقات الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م، ج٧، ص ٢٨٦، ابن عساكر "أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م" تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م، ج٦٢، ص ٣٤٣.

على الظلم» [١].

ومن أكثر ما يوضح مدى اهتمام العربي – ولاسيما قبل الإسلام– بالتعصب لقبيلته والدفاع عنها سواء كانت علي حق أو باطل ما جاء في هذا البيت للشاعر دريد بن الصمّة[٢]، رثى بها أخاه:

وَهَلْ أنَا إلا مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وَإنْ تَرْشُدْ غَزيَّةُ أرْشُدِ[٣]

وقد قضي الإسلام على هذ النوع من العصبية، وجعل الإسلام العصبية للدين والأخوة في الإسلام وليس التعصب للنسب، بل جعل الميزة الأولى في الإسلام هي التقوي، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[٤].

٣. التعصب العنصري: ويقصد به العنصرية سواء كانت على مستوى عائلة، أو قبيلة، أو شعب، أو أمة، أو لون، أو جنس والتمييز العنصري هو: أحد مكونات العنصرية يستند إلى مفهوم التفوق العنصري، وهو مبدأ يصنف البشر

(١) أخرجه أبو داود: سنن أبي داود، ج٤، ص ٣٣١، حديث رقم٥١١٩، الطبراني " سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، ت: ٣٦٠هـ/٩٧١م" المعجم الكبير، تحقيق ، حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، ط٢، عام ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م، ج٢٢، ص ٩٨، حديث رقم٢٣٦.

(٢) دريد بن الصمة بن الحارث بن بكر بن جلهمة بن خزاعيّ بن عريف بن جشم العريفى الجشمي، كانت له أيام وغارات، وكان من فرسان قيس المعدودين، شهد حنينا مع المشركين، وقتل كافرًا. السمعاني "عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت: ٥٦٢هـ /١١٦٦م" الأنساب ، تحقيق ،عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره ، نشر ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج٩، ص ٢٨٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٧، ص ٢٣١.

(٣) أبو تمام "حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ت: ٢٣١هـ/٨٤٥م" ديوان الحماسة، شرحه وعلق عليه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٤٥.

(٤) سورة الحجرات، الآية :١٣.

على أساس الهوية العنصرية، ويقسمهم إلى أجناس متفوقة، وأخرى سفلى ويمنح الأجناس المتفوقة امتيازات خاصة –مادية ومعنوية– يحجبها عن الأجناس الدنيا وتأخذ هذه الامتيازات أشكالاً متعددة (١).

٤ـ التعصب المذهبي: وهذا المغالاة في الانتصار للمذهب أو الرأي الفقهي بغير دليل(٢). وهذا النوع من التعصب هو ما سيتم الحديث عنه خلال هذا البحث.

ثانيا : تناول القرآن الكريم والسنة النبوية للتعصب.

حذر الإسلام من التعصب الأعمى، ونهى عنه، لما له من آثار سيئة – مدمرة– على المجتمع، كإثارة الفتن، وغرس مشاعر الحقد والكراهية، وسفك الدماء بين الناس، ومنع الآخرين من التعبير عن حقوقهم وأفكارهم ومتعقداتهم.

وعند ظهور الدين الإسلامي ونزول القرآن الكريم خلال القرن السابع الميلادي كان التعصب هو أهم ما يميز علاقة المجتمعات ببعضها البعض، فكان التعصب القبلي سمة العلاقات بين العرب في شبه الجزيرة العربية، أما خارجها فكان التعصب الديني والعرقي سمة العلاقات بين الأمم التي كانت تحيط بها.

لذلك أرسى القرآن الكريم مبدأ الحرية، ونهي عن التعصب الذي يقوم على حرمان الأفراد من ممارسة حريتهم الدينية أو العقائدية أو الفكرية، ما دامت هذه الحرية لا تتعارض مع قواعد وأصول الشريعة الإسلامية. والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن كثيرا منها قد احتوى علي آياتٍ تعالج فكرة التعصب مبينة أسبابه وطرق علاجه، وعاقبة المتعصب، ومن أمثلتها:

---

(١) عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج١، ص ٧٨٨.

(٢) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، د.ت ج١، ص ٧،٨، ج٢، ص ٤٥،٤٦، فرج محمد الشبيلي: التعصب المذهبي وموقف المالكية منه، بحث منشور بمجلة التربوي، جامعة المرقب، ليبيا، العدد١٤، عام ٢٠١٩م، ص ١٧٤.

١ـ قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (١)

فقد دعت الآية الكريمة إلى أن تكون المجادلة والمحاورة بين الناس متصفة بالإحسان، والإقناع، والرفق واللين، ولطف الخطاب، والصفح عن المسيء، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ فالقصد من الجدال الوصول إلى الحق، دون رفع الصوت أو السبّ أو التعيير أو التهكّم والاستهزاء، أو التعصب والتحيز لرأي معين أو شخص معين أو مذهب محدد (٢).

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ (٣)

فقد دعت الآية الكريمة إلى الإحسان والتراحم في الحوار بين الأفراد والجماعات وعدم التعصب لرأي أي منها ، حتى تتحول الشحناء التي قد تظهر بينهم نظرًا لاختلافهم في آرائهم وأفكارهم إلى محبة وتعاون، وذلك بسبب نبذ التعصب والتحزب والتحيز (٤).

إلى غيرها من الآيات التي تدعو إلى نبذ الفرقة والتعصب والتحيز، الذي قد يجعل الإنسان يأخذ من رأيه هوى؛ فيجعله إلها له يدافع عنه بكل ما أوتي

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) الطبري" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، ت : ٣١٠هـ /٩٢٢م" جامع البيان في تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م، ج١٧، ص ٢٣١، وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ، ج٢، ص ١٣١٩.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٤) القرطبي" أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، ت: ٦٧١هـ/١٣٥٩م" الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج١٥، ص ٣٦١، محمد عزة دروزة: التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة د.ط، ١٩٨٣هـ، ج٤، ص ٤٢٠.

من قوة ؛ فيخُتم على قلبه وبصيرته، ويجعل على بصره غشاوة، فلا يفهم ما يقوله الآخرون ولا يستوعب ما يقولونه، مع ظهور الحجج والبراهين التي تناقض أفكاره ومعتقداته، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١). بل إن الله تعالى جعل التعصب والحمية الفارغة والكبر والتعنت في الرأي بلا دليل أو برهان من صفات الكفر والجاهلية، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ (٢)

كما بين الله تعالى عاقبة من يظهر له الحجة والبرهان المخالف له مع الإصرار على رأيه والتعصب له، فقال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٣)

أما السنة النبوية فقد حذرت كل الحذر من التعصب بكل أنواعه سواء كان تعصب لقبيلة أو لجنس أو جماعة أو رأي، ومن الأحاديث الناهية والمؤكدة على نبذ فكرة التعصب:

١. قالﷺ :« من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقُتل، فقتلته جاهلية ...»(٤).

٢. حث النبي ﷺعلى ترك المراء والجدال العقيم الذي لا فائدة ولا طائل منه،

---

(١) سورة الجاثية، الآية : ٢٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٣) سورة النمل، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٤) أخرجه "مسلم بن الحجاج ،أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت، ج٣، ص ١٤٧٦، حديث رقم ١٨٤٨.

وأن ترك هذا المراء هو من باب حُسن الخُلق، فقال ﷺ:«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقا، وترك الكذب وإن كان مازحا، وحُسن خلقه»[1] .

٤ـ كما وصف رسول الله ﷺ التعصب بصفات مذمومة، وأن العصبية منتنة ذات رائحة كريهة تنفر الناس منها، فقد روي عن جابر بن عبد الله[2] قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع (ضرب) رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال: «دعوها، فإنها منتنة» [3].

---

(١) أخرجه الطبراني من عدة طرق منها طريق معاذ بن جبل. راجع الطبراني: المعجم الكبير، ج٢٠، ص ١١٠، حديث رقم ٢١٧. قال عنه الهيثمي: رواه الطبراني في الثلاثة والبزار، وفي إسناد الطبراني محمد بن الحصين، ولم أعرفه، والظاهر أنه التميمي وهو ثقة، وبقية رجاله ثقات. الهيثمي" أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: ٨٠٧هـ /١٤٠٤م"مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ج٨، ص ٢٣.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، شهد هو وأبوه العقبة. غزا مع النبي ﷺتسع عشرة غزوة. كان يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، رحل إلى مصر ودخل الشام، وجاور بمكة، توفي بالمدينة وهو ابن ٩٤ سنة، سنة ٧٧هـ، وقيل: ٧٨هـ، وقيل: ٧٩هـ، وكان قد ذهب بصره، وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. راجع، أبو نعيم "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ /١٠٣٨م" معرفة الصحابة، تحقيق ، عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض ، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م، ج٢، ص ٥٢٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١١، ص ٢٠٨.

(٣) أخرجه البخاري" محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ /٨٧٠م" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٦، ص ١٥٤، حديث رقم ٤٩٠٥، ومسلم في صحيحه ، ج٤، ص ١٩٩٨، حديث رقم، ٢٥٨٤.

ثالثا: ظهور التعصب للمذهب الفقهي وتطوره.

لم يعرف جيل الصحابة والتابعين التعصب المذموم، فإن الناس زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا ذوي مذاهب، ورغم اختلافهم في الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية فإنهم لم يكونوا متعصبين لرأيهم واجتهادهم إذا ظهر لهم صواب من يخالفهم، فكانوا يعودون عن رأيهم واجتهادهم دون تعصب، فقد كانوا يتمسكون بمبادئ الإسلام في التعامل مع الآخر، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يختلف مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة، فبعد وفاة الرسول ﷺ، ارتدَّت بعض القبائل حديثة العهد بالإسلام، وامتنعت أخرى عن أداء الزكاة فقط؛ حيث زعموا أنها في أصل الشريعة لا تدفع لغير رسول الله ﷺ؛ لأنه هو المخاطب بأخذها في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)]، وحرصًا من أبي بكر الصديق رضي الله عنه على استمرار مسيرة الدعوة الإسلامية، قاتَلهم لحملهم على التوبة وأداء الزكاة، والعودة إلى تعاليم الإسلام، لكن سيدنا عمر رضي الله عنه ظهر له للوهلة الأولى عدم جواز مقاتلة مانعي الزكاة، مستشهدًا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يَشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقِّه، وحسابه على الله تعالى»[(٢)]، فقال أبو بكر: « والله لأقاتِلَنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتُهم على منعها»[(٣)] قال عمر رضي الله عنه: فو الله ما هو إلا أن شرَح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه للقتال، فعرَفتُ أنه

(١) سورة التوبة، الآية:١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٢، ص ١٠٥، حديث رقم١٣٩٩، ومسلم في صحيحه، ج١، ص ٥١، حديث رقم٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٢، ص ١٠٥، حديث رقم١٣٩٩، ومسلم في صحيحه، ج١، ص ٥١، حديث رقم٣٢.

الحق»[1] وبذلك استطاع الصديق رضي الله عنه أن يقنع بقية الصحابة بصواب اجتهاده، ووجوب قتال مانعي الزكاة، فارتفَع الخلاف في هذه المسألة وعدل عمر عن رأيه لَما رأى الحق، وصدَع بعدوله أمام الآخرين، وهكذا ضرب عمر بن الخطاب مثالا رائعا يحتذى به في الخلاف وعدم التعصب ؛ ليصبح ذلك تربية ونهجًا إسلاميًّا بليغا.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب المثل مرة أخرى في عدم التعصب للرأي والتمسك به، فقد روي أنه أرسل الى امرأة في شيء بلغه عنها، فقيل لها: أجيبي عمر قالت: يا ويلها مالها ولعمر، فبينما هي في الطريق ضربها الطلق فدخلت دارا فألقت ولدها فصاح الصبى صيحتين ومات، فاستشار عمر رضي الله عنه الصحابة، فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شيء؛ إنما أنت وال ومؤدبٍ، قال: ما تقول يا على، قال: إن كانوا قالوا ذلك برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كانوا قالوه في هواك فلم ينصحوا لك، أرى أن ديته عليك لأنك أنت أفزعتها وألقت ولدها في سبيلك، فأمر عمر عليا أن يقسم عقلته(ديته) على قومه [2].

---

(١) للمزيد عن حروب الردة راجع، الطبري" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، ت: ٣١٠هـ /٩٢٢م" تاريخ الرسل والملوك، ويليه "صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ/٩٧٩م " دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٣، ص ٢٤٣وما بعدها، ابن حبان" محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، ت: ٣٥٤هـ /٩٦٥م" السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه وعلق عليه السيد عزيز وجماعة من العلماء، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ، ج٢، ص ٤٣٠، الكاندهلوي: حياة الصحابة حققه، وضبط نصه وعلق عليه: بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ج٢، ص ٣١.

(٢) ورد هذا الأثر عند" أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت: ٢١١هـ/ ٨٢٦م" المصنف، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ج٩، ٤٥٨، البيهقي" أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي، ت:٤٧٠هـ /١٠٧٧م" السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٦، ص ٢٠٣، ابن كثير" أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ /١٣٧٢م" مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق، عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ج٢، ص ٤٩٩.

وهكذا ضرب الصحابة أروع الأمثلة في عدم التعصب والتحيز والتمذهب، فرغم اختلافهم في الاجتهاد كانت علاقتهم مبنيَّة على شدة توقير الآخر، وكان كلٌّ منهم يرى أن الرأي مشترك، وأن الحق فيما ذهب إليه هو المرجوح، ولا مانع أن يكون ما ظنه راجحًا هو المرجوح، ولا شيء يمنع من أن يكون ما ظنه مرجوحًا هو الأرجح، كما كان من آدابهم التسليم للحق بالحق، مع التمسك بالأخوة الإسلامية، والدعوة لها قبل الاختلاف، وما نظرتهم إلى استدراك بعضهم على بعض إلا من باب المعونة والمشورة يُقدمها المستدرك منهم لأخيه، وليس نقدًا يصوبه عليه؛ لأنه لا سياسة لهم دنيوية إلا نشر الدعوة ونصرة الرسالة النبوية بأسلوب عقلاني حضاري مجرد عن هوى النفوس؛ لأن آدابهم وسماتهم عند الاختلاف آدابُ الإسلام، لا تفارقهم حين الدعوة إلى الحق، ولا يتجردون عنها حين الأخذ والرد [١].

وقد صار الرعيل الأول من السلف من أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة الحنفي[٢] والمالكي[٣]، والشافعي[٤]، والحنبلي[٥] على نهج الصحابة

---

(١) طه جابر العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام، نسر المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ط١، د.ت، ص ٧١.

(٢) ينسب هذا المذهب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان (٨٠ـ١٥٠هـ)، واعتمد مذهبه على التوسع في الرأي والتشدد في قبول الحديث والاعتماد عليه. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج٢، ص ١٤٧.

(٣) ينسب هذا المذهب إلى الإمام مالك بن أنس(٩٣ـ١٧٩هـ)، واعتمد مذهبه على الحديث وعَمِلِ أهل المدينة باعتبارهم قد شاهدوا النبيﷺ والصحابة ونقلوا عنهم، مع التشدد في الأخذ بالرأي والاجتهاد مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٣٥٥.

(٤) ينسب هذا المذهب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي(١٥٠ـ٢٠٤هـ)، وجاء مذهبه وسطًا بين المذهبين السابقين عليه، فقد اعتمد على الحديث وأقوال الصحابة واجتهادهم، مع الأخذ بالرأي والعمل به فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج٢، ص ٢٥٠.

(٥) ينسب هذا المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) واعتمد فيه على=

في عدم التعصب لآرائهم، فهذا الإمام أبو حنيفة(٨٠ـ١٥٠هـ) يمنع أصحابه من التعصب لآرائه، فيقول: «علمنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه» [(١)].

وهذا الأمام مالك بن أنس (٩٣ـ١٧٩هـ) يطلب من أصحابه عدم التعصب له، وبين لهم أنه بشر يصيب ويخطئ فيقول: « نما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فإن وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[(٢)].

كما نقل عن الإمام مالك قوله:« كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبي ﷺ» [(٣)].

=الحديث اعتمادا كاملا في التشريع؛ والتشدد في الأخذ بالرأي والاجتهاد أو القياس، وكان يلجأ إليها في أحيان قليلة للغاية. ابن القيم " محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ، ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م" أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١، ص ٢٣، مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص٣٨٥.

(١) الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م" تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق، بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م،، ج٣، ص ٩٩٠.

(٢) عياض" أبو الفضل القاضي عياض بن موسي، ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م" ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق، مجموعة من المحققين، نشر مطبعة فضالة، المغرب، ط١، د.ت، ج١، ص ١٨٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٧١٩.

(٣) ينسب هذا القول لعدد من السلف منهم الإمام مالك مجاهد وسفيان بن عيينه. للمزيد راجع : ابن عبد البر" أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، ت: ٤٦٣هـ /١٠٢٠" جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٢، ص ٩٢٦، أبو شامة" أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن الدمشقي، ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٦م" مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت، د.ط، ١٤٠٣هـ، ص ٦٦،=

كما نهى الإمام الشافعي(١٥٠-٢٠٤هـ) عن التعصب لقوله، فقد نُقل عنه قوله:« ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أَصَّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺخلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ » (١).

أما الإمام أحمد بن حنبل(١٦٤-٢٤١هـ) فقد نهى أصحابه عن التعصب لرأيه ومذهبه ودعا إلى وجوب الالتزام التام بكلام الله –سبحانه وتعالى– وسنة نبيه ﷺ، كما بيّن أن الرجال لن يسلموا من الوقوع في الخطأ والغلط، لذلك نهى عن التقليد الأعمى، الذي يدعو إلى التعصب لأقواله فنقل عنه أنه قال: « من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال» (٢).

أما عن ظهور التعصب المذهبي، فأن بدايته تعود للخلافات السياسية والفكرية والفقهية التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة؛ مما أدي إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها ثم تعصبت لها وسعت جهدها إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع، فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيما بينها على مستوي المشاعر والأفكار، والأقوال والأفعال (٣).

=الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م" سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،ج٨، ص ٩٣.

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥١، ص ٣٨٩.

(٢) ابن القيم: أعلام الموقعين ، ج٢، ص ١٣٩.

(٣) خالد كبير علال: التعصب المذهبي، ص ٧.

ولكن ما أن بدأ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى زاد التعصب المذهبي، وانتشر التقليد الأعمى من أتباع المذاهب لأئمتهم جملة وتفصيلاً؛ حتى ادعي بعضهم ثبوت العصمة لأئمة مذهبهم[1]، بل إنهم نظروا في قول أئمتهم نظرة يقينية، فسخروا جهدهم لنصرتها والدفاع عنها وترويجها، وبذل ما في وسعهم لإبطال مذهب المخالف وتفنيده، وكان من أثر ذلك أن نظر هؤلاء المُدَّعِون إلى آيات الأحكام فأولها كل واحد منهم حسبما يشهد لمذهبه إن أمكنه التأويل، وإلا فلا أقَلَّ من أن يؤولها تأويلا يجعلها به لا تصلح أن تكون في جانب مخالفيه[2]، فهذا الإمام أبو الحسن الكرخي[3](المتوفى عام ٣٤٠هـ/٩٥٢م) وهو من كبار أئمة الحنفية يقول: « والأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح. والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق.»[4] .

(١) محمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي، دار الفكر، بيروت، ط٨، ١٩٦٧م، ص ١٧٥، و ص ٢٧٧، خالد كبير علال: التعصب المذهبي، ص ٧، ٨.

(٢) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة، ط١، د.ت، ٢، ص ٣٢٠.

(٣) عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم شيخ الحنفية بالعراق .كان علامة كبير الشأن، أديبا بارعا، انتهت إليه رياسة أصحاب مذهب أبو حنيفة، وانتشر تلامذته في البلاد. وكان عظيم العبادة والصلاة والصوم، صبورا على الفقر والحاجة. توفي عام ٣٤٠هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٢٦.

(٤) أصول الكرخي، (طبع ضمن: أصول البزدوي-كنز الوصول الى معرفة الأصول لمؤلفه: علي بن محمد البزدوي الحنفِي) مطبعة جاويد بريس – كراتشي، ط١، ١٩٦٨م، ص ٣١٤.

المبحث الثاني

المؤرخون وطريقة تناولهم للمخالفين لهم في المذهب الفقهي

كانت الخلفية المذهبية من أهم الأسباب التي أظهرت التعصب المذهبي في كتابات بعض المؤرخين عند تناولهم للمخالفين لهم في مذهبهم الفقهي، ويمكن تقسيم المؤرخين في طريقة تناولهم للمخالفين لفكرهم ومذهبهم إلى فرقتين:

أولا: مؤرخون متعصبون لمذهبهم الفقهي.

على الرغم من مكانتهم العلمية فإنهم كانوا متعصبين لمذهبهم ناقدين لغيرهم من المخالفين لهم في مذهبهم الفقهي، موجهين لهم سهام النقد الذي كان يصل بهم في بعض الأحيان إلى الاقتصار على ذكر المسالب، ومن أمثلة هؤلاء:

– الخطيب البغدادي «أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الشافعي، ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م» الذي كان متعصبا في ترجمته تجاه الإمام أبي حنيفة[١] – مؤسس المذهب الحنفي– فرغم ثنائه على الإمام أبي حنيفة في كثير من الأحيان، فإن ذكره للعديد من الآراء القادحة في أبي حنيفة دون نقدها أو ذكر حالها مع الجرح والتعديل، خاصة أن الخطيب اعتمد في كتابه منهجا يقوم علي ذكر جميع الروايات التي تتصل بترجمة الشخص، ثم يقوم بنقدها وبيان الصحيح والسقيم والغث والسمين منها. ولكنه عند ترجمته لأبي حنيفة نقل هذه الروايات دون تطبيق المنهج الذي اعتمده في غيره من المُترجم لهم؛ مما جعل هذه الترجمة تكون سببًا لإثارة الجدل بين أهل العلم؛ الأمر الذي جعل بعض الباحثين يرى أن ترجمته لأبي حنيفة تأثرت كثيرا بالخلاف المذهبي بين الخطيب البغدادي صاحب المذهب الشافعي وأبي حنيفة مؤسس

(١) راجع الترجمة بكاملها في كتابه تاريخ بغداد، تحقيق، بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج١٥، ص٤٤٤– ٥٨٦.

المذهب الحنفي [1].

ونتيجة لهذا التعصب من الخطيب البغدادي– كما يرى بعضهم– تجاه أبي حنيفة في ترجمته له، فقد قام عدد من علماء المذهب الحنفي بالرد عليه في كتب كانت مليئة بالتعصب تجاه الخطيب، ومنها:

أ . السهم المصيب في كبد الخطيب لمؤلفه« الملك المعظم أبي المظفر عيسى بن أبي بكر ابن أيوب المتوفى عام٦٢٤هـ/١٢٢٦م» الذي رد فيه على الخطيب البغدادي فيما كان يرى أنه تشنيع منه على الإمام أبي حنيفة.

ب . الانتصار لإمام أئمة الأمصار لمؤلفه« سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي، ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م»[2].

جـ . تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، لمؤلفه« محمد زاهد الكوثري، المتوفى ١٣٧١هـ/١٩٥١م».

ويمكن القول: إن الخطيب البغدادي لم يكن متعصبا في ترجمته لأبي حنيفة، فقد بيّن في ترجمته للخطيب أن منهجه فيها: أنه سيذكر جميع ما وصل إليه عن أبي حنيفة، مقدما اعتذاره عن هذه الأخبار لما فيها من أمور ربما يرى القارئ أنه قد تحامل فيها على أبي حنيفة، فيقول: « قد سقنا عن

(١) راجع الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٥، ص ٤٤٤–٤٤٥ هامش رقم ٥، مقدمة تحقيق كتاب عقود الجواهر المضية في أدلة مذهب أبي حنيفة فيما وافق فيه الأئمة، لمؤلفه« محمد مرتضي الزبيدي»، تحقيق، محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت، ص ٥٦.

(٢) حاجي خليفة « مصطفي بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، ت: ١٠٦٧هـ/ ١٦٦٥م» كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثني، بغداد، د.ط، ١٩٤١م، ج٢، ص ١٨٣٨، الباباني: هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، د.ط، ١٩٥١م، ج٢، ص٥٥٤.

أيوب السختياني[١] وسفيان الثوري[٢]، وسفيان بن عيينة[٣]، وأبي بكر بن عياش[٤]، وغيرهم من الأئمة أخبارا كثيرة تتضمن تقريظ أبي حنيفة والمدح له، والثناء عليه والمحفوظ عند نقلة الحديث عن الأئمة المتقدمين وهؤلاء المذكورون منهم في أبي حنيفة خلال ذلك، وكلامهم فيه كثير لأمور شنيعة حفظت عليه، متعلق بعضها بأصول الديانات، وبعضها بالفروع، نحن ذاكروها بمشيئة الله، ومعتذرون إلى من وقف عليها وكره سماعها، بأن أبا حنيفة عندنا مع جلالة قدره أسوة بغيره من العلماء الذين دونا ذكرهم في هذا الكتاب، وأوردنا أخبارهم، وحكينا أقوال الناس فيهم على تباينها، و الله الموفق للصواب»[٥].

ورغم هذا الاعتذار من الخطيب فإن بعضهم قد ذكر أنه كان اعتذارا باهتا، كان القصد منه تبرئة نفسه من التعصب تجاه أبو حنيفة، وقد علق على ذلك صاحب كتاب المستفاد من ذيل تاريخ بغداد بقوله:« أما قول الخطيب هذا فإنا

---

(١) أبو بكر بن أبي تميمة كيسان البصري أحد الأعلام. من نجباء الموالي. سمع: عمرو بن سلمة الجرمي، وأبا العالية، وسعيد بن جبير، وغيرهم، توفي عام ١٣١هـ وله من العمر ثلاث وستون سنة. الذهبي : تاريخ الإسلام، ج٣، ص ٦١٨-٦٢٠.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بن حبيب بن رافع. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري، الكوفي، المجتهد. ولد: سنة ٩٧هـ، وتوفي ١٢٦هـ. السمعاني: الأنساب، ج٣، ص ١٥٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٢٢٩.

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، واسم أبي عمران ميمون، أبو محمد الكوفي ثم المكي، الإمام شيخ الإسلام. ولد سنة ١٠٧هـ، وتوفي عام ١٩٨هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج٦، ص٤١، الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٤، ص١١١٠.

(٤) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ العابد، أحد الأئمة الكبار، مولى واصل الأحدب، توفي عام ١٧٣هـ. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤، ص ١٢٦١- ١٢٦٣.

(٥) تاريخ بغداد، ج١٥، ص٥٠٤، ٥٠٥.

إن شاء الله نبين أن قصده خلاف ما ذكر من المعذرة وإنما قصد الشناعة جرأة منه وافتراء»[١].

– ابن المبرد «يوسف بن حسن بن عبد الهادي الشهير بابن المبرد –بفتح الميم– الحنبلي ، ت:٩٠٩هـ/١٥٠٣م»– على ما له من مكانه علمية– إلا أنه في كتابه (جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر)، فقد سب فيه العالم الجليل بألفاظ بشعة يعف اللسان عن ذكرها، وذلك للخلاف المذهبي بين ابن عساكر الذي كان شافعيا ومدافعا عن مذهب الأشاعرة[٢]، وابن المبرد المتعصب للمذهب الحنبلي، ولكنه مع الطعن في ابن عساكر لم يأت بدليل واحد على ما قاله من طعنٍ فيه [٣].

ثانيا: مؤرخون غير متعصبين لمذهبهم الفقهي

هذا الفريق من المؤرخين لم تمنعه مخالفة غيره له في مذهبه الفقهي من الحديث عنه في مؤلفاته بكل تقدير وإبراز لمكانته العلمية، بل والأخذ عنه

(١) ابن الدمياطي" أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني، ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م" المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين البغدادي، مطبوع مع كتاب تاريخ بغداد، تحقيق، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ج٢٢، ص ٤٤.

(٢) فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج من المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة من البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في الرد على خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم؛ لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، ومن أشهر علماء الأشاعرة القاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو إسحاق الشيرازي وغيرهما. عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٧،ص٤٨٨وما بعدها، جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص١٠ وما بعدها، حمد السنان وفوزي العنجري: أهل السنة الأشاعرة، دار الضياء، الرياض، ط١، د.ت، ص٣٤ وما بعدها.

(٣) صلاح الشورى: إسهامات الخراسانيين الحضارية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر ، ت٥٧١هـ/١١٧٦م، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية اللغة العربية بالقاهرة، ٢٠١٩م، ص ٧٦،٧٧.

والجلوس للسماع منه، والسفر مسافات طويله قاطعا دروب الصحاري متحملا عناء السفر للتعلم على يديه[١]، كما لم يمنعه انتمائه لمذهبه أو تعصبه له من نقد بعض المنتمين لهذا المذهب ومن هؤلاء:

-الحافظ ابن عساكر« أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م»، فعلى الرغم من أشعريته التي ورثها عن أسرته، ودفاعه عن هذا المذهب بكل ما أمكنه من وسائل، فإنه مع ذلك لم يحجم عن الحديث في موسوعته التاريخية- تاريخ دمشق- عن شيوخ كانوا من أشد المعادين للأشاعرة مثل: ابن الفراء الحنبلي[٢] الذي كان يُعرف عنه تعصبه الشديد ضد الأشاعرة ووصفهم بصفات لا يرضون عنها، فقد ألف عدة مؤلفات للرد على الأشاعرة وغيرهم من المخالفين لمنهج الحنابلة، ومن هذه المؤلفات: كتاب:« إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة»، وكتاب: «الرد على زائغي الاعتقادات في منعهم من سماع الآيات»، وكذلك: « شرف الاتباع وسرف الابتداع»، وكلها كانت في الرد على الأشاعرة ومعتقداتهم وغيرهم من المخالفين لمذهبه بلهجة كان تحتوي على كثير من التعصب ضدهم[٣].

---

(١) صلاح الشورى: إسهامات الخراسانيين، ص٦٣.

(٢) محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن الفراء، أبو خازم بن القاضي أبو يعلى الحنبلي البغدادي ولد سنة ٤٥٨ وتوفي عام ٥٢٧. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م، ج١٧، ص٢٨١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق، محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، بيروت ، ط١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج٦، ص١٣٥.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص ١٣٠.

كما أنه لم يغير من منهجه الذي اتبعه في كتابه تاريخ دمشق[١] عند الترجمة لأي من علماء الحنابلة الذين كان يعرف عنهم عدائهم للمذهب الأشعري، من ذكر فضائله وأقول العلماء في مكانته العلمية من حيث الجرح والتعديل، كما أن الترجمة لهؤلاء الأعلام جاءت متوازنة، فبالعودة لكتاب تاريخ دمشق والاطلاع علي ما ورد فيه من ترجمات لعلماء الحنابلة وجد الباحث – على حد علمه– أنها خلت من أي من مظاهر التعصب تجاه هؤلاء العلماء[٢].

– ومنهم الإمام الذهبي «شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م»، فكان من المؤرخين الذين عُرف عنهم التحري والنزاهة، وبغض العصبية والهوى والتحير فقد استطاع الذهبي أن يكون منصفاً –إلي حدٍ بعيد–، فكان معتدلاً في أحكامه وتقاوميه، بعيدا عن التهور والشطط، قريبا من الاعتدال والوسيطة[٣]، فكان عند الترجمة لأحد من

---

(١) للمزيد عن منهج ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، راجع: سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته" ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره"، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ٣٥٠، محمد مطيع الحافظ: الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير، دار القلم، دمشق. ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٢٠ وما بعدها، صلاح الشوري: إسهامات الخراسانيين، ص ٩٥.

(٢) ترجم ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق لعدد من علماء الحنابلة، منهم: إبراهيم بن محمد بن عبد الله أبو إسحاق البغدادي الحنبلي، ج٧، ص ١٩٣. الخضر بن نجا بن الحسن أبو القاسم التميمي البعلبكي المؤدب الحنبلي، ج١٦، ص ٤٤٨. سعيد بن مهران بن داود أبو عثمان الكردي الحنبلي، ج٢١، ص ٣٠٩. عبد الملك بن إسحاق بن إبراهيم الحنبلي، ج٣٧، ص ٣. عبد المغيث بن زهير بن زهير البغدادي الحربي الحنبلي، ج٣٧،ص٣٤. عمر بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم البغدادي الخرقي الفقيه الحنبلي، ج٣٤، ص ٥٦٢. وهب بن فرج أبو مفرج بن مفلح أبو القاسم الناسخ الحنبلي، ج٦٣، ص ٣٦٥.

(٣) عبد الستار الشيخ: الحافظ الذهبي« مؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين إمام المعدلين والمجروحين»، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٢٩.

الأعلام يورد آراء الموافقين والمخالفين في المُترجم له؛ ليقدم صورة كاملة صادقة عنه، ثم يذكر رأيه دون تعنت أو مبالغة أو تعصب، فكان دائما يستعيذ بالله من الهوى والعصبية [1].

فكان دائما يطالب المنتمين لجميع المذاهب من الفقهاء أو حتى المؤرخين بالبعد عن التعصب لمذهبهم، فيوجه حديثه لبعض المتعصبين من أصحاب المذهب الحنفي بقوله: «لا يكن همك الحكم بمذهبك، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فإذا عملت بمذهبك في المياه والطهارة والوتر والأضحية، فأنت أنت، وإن كانت همتك في طلب الفقه الجدال والمراء والانتصار لمذهبك على كل حال وتحصيل المدارس والعلو فما هذا فقها أخرويا، بل هذا فقه الدنيا... فلا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى، فإنك لا دليل لك على ذلك، ولا لمخالفك أيضا، بل الائمة – رضي الله عنهم – على خير كثير، ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة، وفي خطئهم أجر على كل مسألة»[2].

فرغم مذهبه الشافعي[3] إلا أنه عند الحديث عن المخالفين لهذا المذهب

---

(١) عبد الستار الشيخ: الحافظ الذهبي، ص ١٣٠، وص ١٦٢.

(٢) زغل العلم: تحقيق، محمد ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية ، بيروت، ط١، د.ت، ص٣٥. (بتصرف).

(٣) كان الذهبي – رحمه الله– شافعيا في مذهبه الفقهي إلا أنه كان حنبليا في مذهبه العقدي، لكنه كان غير متحمس للخوض في مضايق العقائد، وكان يرى أن السكوت فيها أولى وأسلم. للمزيد، راجع: الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، عام ١٩٩٨م، ج٢، ص١٣٣، ج٣، ص ٤٨، السبكي "تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: ٧٧١هـ /١٣٦٩م" طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق ،محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة، بيروت ، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٩، ص ١٠٠، بشار عواد معروف: الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، عام ١٩٧٦م، ص ١٢٩، ص ٤٥٨.

تحدث عنهم وفق منهجه في النقد بإبراز أقوال العلماء فيه دون تحيز أو هوى أو تعصب منه، والمتتبع لتراجم الأعلام التي توجد في كتب الذهبي المختلفة، التي تحتوي على آلاف من التراجم، يلاحظ أنها في كثير منها جاءت مشتملة على إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية للمترجم له.

ونظرا لأن الدراسة غير مخصصة للذهبي – بصفة خاصة– فسوف يكتفي الباحث بذكر مثالين فقط للدلالة على عدم تعصب الذهبي تجاه المخالفين له في مذهبه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

– حديثه عن داود الظاهري[١] فرغم الخلاف المذهبي بين الشافعية والظاهرية[٢]، فعند ترجمة الذهبي لداودَ لم يكن متعصبا تجاهه كغيره من المؤرخين، فلم يمنعه توجيه النقد إليه وإلى أصول مذهبه، من بيان فضائله هو وبعض علماء الظاهرية، فقال عنه:« لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقطع ببطلان قوله فيها، فإنها هدر، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عضدها نص، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تهدر. وفي الجملة، فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في

---

(١) داود بن علي بن خلف، أبو سليمان الفقيه الظاهري. أصبهاني الأصل، سمع سليمان بن حرب وغيره. ورحل إلى نيسابور فسمع من إسحاق بن راهوية المسند والتفسير، ثم قدم بغداد فسكنها وصنف كتبه بها. وهو إمام أهل الظاهر. توفي عام ٢٧٠هـ. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص٣٤٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص٣٢٧.

(٢) الظاهرية مدرسة في الفقه الإسلامي، نشأت في بغداد في منتصف القرن الثالث الهجري على يد داود الظاهري، وقد جعلت محور تفكيرها الوقوف على ظاهر النص، فلا رأي عندهم في حكم من أحكام الشرع، بل يأخذون بالنصوص وحدها، وإذا لم يكن نص أخذوا بحكم الاستصحاب؛ وهو الإباحة الأصلية. للمزيد راجع ابن حزم : النُبذ في أصول الفقه الظاهري، تحقيق، محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٢، وما بعدها.

معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وفيه دين متين. وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علم باهر، وذكاء قوي، فالكمال عزيز، والله الموفق»[(١)].

– كما أنه أثنى على كثير من علماء الحنفية، فعند ترجمته لعبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء، قاضي القضاة، شمس الدين، أبو محمد الأذرعي الحنفي(ت:٦٧٣هـ /١٢٧٤م) أثنى عليه بقوله:« كان إماما فاضلا، ديِّنا ، متواضعا، محمود السيرة، حسن العشرة، قانعا باليسير، قليل الرغبة في الدنيا، تاركا للتكلف، تفقه عليه جماعة» [(٢)]

وعند ترجمته أيضا لشمس الدين، أبو عبد الله بن الحريري الأنصاري الدمشقي الحنفي(ت: ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، قال عنه: « قاضي القضاة علامة المذهب ذو العلم والعمل» [(٣)].

وكان من مظاهر عدم تعصبه المذهبي أيضا أنه خالف كبار مؤرخي المذهب الشافعي الذي كان ينتمي إليه، عند حديثهم عن المخالفين لهم في المذهب مثل مخالفته للخطيب البغدادي، فعند ترجمته للحسن بن زياد اللؤلؤي، وهو من كبار فقهاء الحنفية(ت: ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) قال:« قلت: قد ساق في ترجمة هذا أبو بكر الخطيب[(٤)] أشياء لا ينبغي لي ذكرها»[(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ١٠٧،١٠٨.

(٢) تاريخ الإسلام ، ج١٥، ص ٢٦٢.

(٣) معجم الشيوخ الكبير، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط١، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٢٣٠.

(٤) ذكر الخطيب البغدادي عند ترجمته للحسن بن زياد كثيرًا من الروايات التي توجب الطعن في الحسن ومكانته العلمية ، للمزيد، راجع الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨، ص ٢٧٥.

(٥) تاريخ الإسلام، ج٥، ص ٤٨.

المبحث الثالث

ابن الجوزي ومنهجه في التعصب

أولا : ابن الجوزي (حياته ـ مؤلفاته)

اسمه ومولده:

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر –الجوزي– البغدادي القرشي[١]، الذي ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديقﷺ [٢].

وقد اختلف العلماء في نسبته للجوزي، فقيل: إنه نسبة إلى جده جعفر الذي كان يسكن في فرضة– منطقة– مشهورة بالبصرة يقال: جوزة البصرة[٣]، وقيل: نسبة إلى مشرعة الجوز إحدى محال بغداد بالجانب الغربي منها[٤]. وقيل: نسبة إلي شجرة جوز كانت بوسط دار جده– جعفر– بمدينة واسط بالعراق لم يكن بالمدينة جوزة سواها [٥].

أما عن كنيته فقد حدث شبه اتفاق بين جميع من ترجم له أنه كان يُكني

(١) ابن خلكان" أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م" وفيات الأعيان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م، ج٣، ص١٤٠، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ١١٠١.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٠، الصفدي" صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ، ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م" الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١٨، ص ١٠٩.

(٣) سبط ابن الجوزي" شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي، ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م" مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ج٢٢، ص٩٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٧٢، الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج١٨، ص ١٠٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٢.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ١١٠١.

بأبي الفرج ، وأنه كان يُلقب بجمال الدين.[١]

كما عُرف أيضا بالصفار[٢]؛ وذلك لأن أهله كانوا يشتغلون بتجارة النحاس الأصفر؛ لذا كتب في بعض كتبه عبد الرحمن الصفار [٣].

أما عن مولده فقد اختلف العلماء في إثبات السنة التي ولد فيها ابن الجوزي لاسيما أنهم كانوا في تلك العصور لا يعتنون بتدوين تاريخ الولادة ، فذكر بعضهم أنه ولد عام ٥٠٨هـ /١١١٤م[٤]، ومنهم من ذكر أنه ولد عام ٥٠٩هـ/١١١٥م[٥]، ونقل بعضهم أنه ولد عام ٥١٠هـ/١١١٦م، منهم: ابن الدبيثي الذي يقول عن مولد شيخه ابن الجوزي:« سألت الشيخ أبا الفرج بن الجوزي عن مولده غير مرةٍ وفي كلها يقول: ما أحققه ولكن يكون تقريباً في سنة عشر وخمس مئة»[٦]، وسبط ابن الجوزي الذي ذكر أن جده ولد عام ٥١٠هـ على التقريب[٧].

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٥، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص ١٠٩، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص ٥٣٧، آمنة محمد نصير: أبو الفرج بن الجوزي " آراؤه الكلامية والأخلاقية"، دار الشروق ، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ٢٣.

(٢) الصفار: هو صانع الصفر والأدوات النحاسية، والصفر نوع من أنواع النحاس الأصفر الذي تصنع منه الأوعية والقدور. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م ، ج٢، ص ٧٠٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٧، ٣٦٨، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١١٠.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٢، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١١٠.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٦.

(٦) "أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الدبيثي، ت:٦٣٧ هـ/١٢٣٩م" ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق ، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م، ج٤، ص ٤٦.

(٧) مرآة الزمان، ج٢٢، ص ٩٤.

وابن خلكان [١]، والذهبي[٢]، والصفدي[٣]، وابن العماد الحنبلي[٤]. ومنهم من نقل أنه ولد عام ٥١١هـ/١١١٧م استنادا إلى ما ورد عن ابن النجار أنه قال:« نقلت من خط ابن الجوزي، قال: لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين» [٥].

والحقيقية أنه من الصعب الترجيح بين الروايات التي ذكرت العام الذي ولد فيه ابن الجوزي؛ وذلك بسبب أن أيا منها لا يعتمد علي دليل يقوي ما ذكره ، إلا أن الباحث يرى أن أقرب الأقوال التي نقلها المؤرخون عن مولد ابن الجوزي، هو أنه ولد بين عامي ٥١٠هـ أو ٥١١هـ، وذلك لما نقله بعض طلاب ابن الجوزي عنه مثل قول ابن الدبيثي في سؤاله لابن الجوزي عن سنة ميلاده الذي ذكره في ذيله لتاريخ بغداد [٦]، وكذلك لما نقله ابن النجار في المستفاد عن ابن الجوزي في قوله السابق ذكره [٧].

حياته الاجتماعية:

عاش ابن الجوزي في بداية طفولته حياه صعبة، فقد توفي والده وهو لايزال في المهد صبيا إذ كان سنه عند وفاة والده لا يتعدى ثلاث سنوات[٨]، وقد

(١) وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٢.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٦.
(٣) الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١١٠.
(٤) شذرات الذهب، ج٦، ص ٥٣٧.
(٥) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج٢١، ص ١١٧.
(٦) ج٤، ص ٤٦.
(٧) ج٢١، ص ١١٧.
(٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص ٩٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٧.

ذكر بعض الباحثين أن الحياة قد أضافت إلي فجيعته بموت أبيه فجيعة أخرى فقد انصرفت أمه عن تربيته [١].

وبالعودة إلى المصادر التي ترجمت لابن الجوزي وجد الباحث أن مسألة انصراف أمه عن تربيته التي ذكرها بعض الباحثين لم ترد في هذه المصادر التي تحدثت عن ابن الجوزي، فعلي العكس تماما فقد ذكر صاحب ذيل طبقات الحنابلة بأنها كفلته بعد وفاة والده واعتنت بتربيته وتنشئته علي الصلاح والتقوي، فقال: « فلما توفي والده وهو صغير كفلته أمه وعمته.»[٢]، وعلي ذلك يمكن القول: إن ما ذكره هؤلاء الباحثين عن انصراف أمه عن تربيته ليس صحيحا، خاصة أن المُطالع لما ذكروه لا يجد مصدرا قد اعتمدوا عليه عند توثيقهم لهذه المعلومة. والله أعلم.

وأي ما كان فإن ابن الجوزي قد نشأ في أسرة صالحة، فعمته كانت من المحبين للعلم، لذلك حرصت على تعليمه وتشجيعه للجلوس مع العلماء والنقل عنهم [٣].

(١) آمنة نصير: ابن الجوزي، ص ٣٢، عبد العزيز سيد هاشم الغزولي: ابن الجوزي " الإمام المربي، والواعظ البليغ والعلامة المتقن" دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٠.

(٢)" زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي، ت: ٧٩٥هـ/١٣٩٢م" ٧٩٥هـ/١٣٩٢م" تحقيق، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ج٢، ص ٤٦٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٧،٣٦٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص ٥٣٨.

كما كان لخاله أبو الفضل بن ناصر(١) دور مهم في تربيته، فقد أعتنى بذلك الطفل المهتم بطلب العلم، فأسمعه كثيرًا من مروياته في علم الحديث، ويحدثنا ابن الجوزي عن دور خاله في حياته فيقول: « كان حافظا ضابطا متقنا ثقة لا مغمز فيه، وهو الذي تولى تسميعي الحديث، فسمعت مسند الإمام أحمد بن حنبل بقراءته وغيره من الكتب الكبار والأجزاء العوالي(٢) على الأشياخ، وكان يثبت لي ما أسمع» (٣).

وفي هذا الجو الذي هيأته له عمته وخاله نشأ ذلك الطفل وترعرع على التقوى والورع، فكان زاهدا في الدنيا متقلِّلاً منها، فكان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة والمجلس، فكان لا يأكل من جهة لم يتيقن من حِلِّها، فكان ذلك ضربه وشيمته في الحياة حتى توفاه الله -تعالى- على حد قول سبطه أبو المظفر يوسف(٤).

---

(١) محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ، أبو الفضل السلامي. ولد عام ٤٦٧هـ توفي والده وهو صغير، فكفله جده لأمه . روى عنه ابن عساكر، والسمعاني، وأبو طاهر السلفي، وغيرهم. توفي عام٥٥٠هـ.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص ٩٩١، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥، ص ٧١.

(٢) العوالي: هي الأحاديث عالية السند المتصلة إلى النبي ﷺ ، وقسم العلماء العلو إلى خمسة أنواع هي: ما اتصل سنده إلى النبي بإسناد صحيح ، وما اتصل إلى إمام من أئمة الحديث مشهود له بالحفظ والإتقان، وما اتصل إلى أحد رواة الكتب الستة كالبخاري ومسلم ، والعلو بتقدم وفاة الراوي، والعلو بتقدم السماع من الشيخ. السخاوي "شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م" فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ج٣، ص ٩، صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، د . ط، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٦، محمد محمد أبو شهبة: الوسيط في علوم مصطلح الحديث، دار المعرفة، القاهرة، ط١، د. ت، ص ١٢٠.

(٣) المنتظم، ج١٨، ص ١٠٣.

(٤) مرآة الزمان، ج٢٢، ص ٩٤.

لكن الذهبي تعجب مما ذكره عنه سبطه في ذلك، ووجه نقدا لابن الجوزي في هذا العمل – إن صح عنه ذلك– معلقا على ذلك بقوله:« قلت فما فعلت في صلاة الجماعة؟» [١]. ويقصد الذهبي بذلك أنه كيف كان ابن الجوزي يتخلف عن صلاة الجماعة في باقي الصلوات غير الجمعة في المسجد؟.

كان لهذا السلوك القويم من التربية أثر في ظهور نبوغه العلمي، فقد أقبل منذ نعومة أظفاره على الجد والتحصيل العلمي– سأتناول حياته العلمية بعد قليل– لكنه لم ينسى حظه من الدنيا، فقد تزوج ابن الجوزي بأكثر من زوجة[٢]، ولكن كانت خاتون بنت عبد الله أم ولده الأصغر يوسف أحب زوجاته إليه[٣]، وكانت هي الأخرى تحبه كثيرا، فقد بلغ من تعلق الزوجين ببعضهما أنها ماتت بعد موته بيوم وليلة حزنًا على وفاته، ويحدثنا سبطه أبو المظفر عن ذلك التعلق بين الزوجين، فيقول: « ومن العجائب أننا كنا يوم السبت بعد انفضاض العزاء جلوسا عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فعجبنا، وقلنا: ترى من مات عنده في الدار؟ وإذا بها خاتون بنت عبد الله والدة خالي محيي الدين، وعهدي بها ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية، قائمة ليس بها مرض، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعد الناس ذلك من كراماته، لأنه كان مغرى بها– محبا لها– في حال حياته» [٤].

كما كان له نصيب من الذرية الكثيرة، فكان ابن الجوزي متمنيا أن يكون له كثرة في الأولاد، فقد تضرع لله بذلك، فقد سجل ابن الجوزي ذلك في كتابه «لفته الكبد»، فقال:« فإنني لما عرفت شرف النكاح وطلب الأولاد ختمت

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٧٠.
(٢) آمنة نصير: ابن الجوزي، ص٤٢.
(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٦.
(٤) مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٦.

ختمة وسألت الله -تعالى- أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقنيهم، فكانوا خمسة ذكور وخمس إناث، فمات من الإناث اثنتان» (١).

كان لابن الجوزي خمسة من الذكور - كما ذكر هو بنفسه ذلك- ولكن المصادر التاريخية لم تذكر أو تتحدث إلا عن ثلاثة منهم فقط ، حتى أن سبطه أبو المظفر عند حديثه عن أخواله من أبناء جده ابن الجوزي ذكر أنه كان له ثلاثة من الذكور فقط (٢)، وهو ما نقلته عنه المصادر والمراجع التي ترجمت لابن الجوزي (٣)، ويبدو أنه كان لابن الجوزي كما ذكر بنفسه خمسة من الذكور إلا أنه يمكن القول: أنه توفي اثنان في صغرهما، لذلك ذكر سبطه - ومن نقلوا عنه- ثلاثة من أولاده الذين عاشوا حتى أصبحوا شبابا ورجالا، كان لهم تأثيرًا في حياته.

أما أكبر هؤلاء الأبناء فهو :

-عبد العزيز: كان يُكني بأبي بكر، توفي بالموصل في حياة والده عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م (٤).

- أبو القاسم علي: وهو الابن الثاني لأبيه، ولد عام ٥٥١هـ/١١٥٦م(٥)، نشأ في بداية حياته على حب العلم والالتزام، فسمع من والده ومن كبار علماء

---

(١) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، شرح وتحقيق، أشرف عبد المقصود، مكتبة البخاري، مصر، ط١، عام١٤١٢هـ، ص٢٥.

(٢) مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧.

(٣) أبو شامة" أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن الدمشقي، ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٦م" تراجم القرنيين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين" عني بنشره السيد عزت العطار، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م، ص ٢٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٨٤، آمنة نصير: ابن الجوزي، ص٤٢.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص١١١١.

(٥) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، ج٤، ص ٤٤٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٥٢.

عصر أبيه، لكنه ترك العلم وأصبح عاقا لوالده[١]، حتى إنه صار حديث الناس بالعراق لما عُرف عنه من العقوق لوالده! والأعجب أنه استولى علي مصنفات والده، وقام ببيعها، كما أنه استغل غياب والده عن داره؛ فكان يدخل الدار بالليل والنهار حتى أخذ منها كتب أبيه، وباعها بثمن لا يساوي ثمن المداد الذي كُتبت به[٢].

والأغرب من ذلك أنه صار من المحرضين ضد والده في محنته[٣] التي تعرض لها في أواخر حياته[٤]. وقد حاول ابن الجوزي مِرارًا أن يصلح من ابنه لخوفه عليه، فقدم له نصيحة مطولة وضعها في كتابه المعروف« لفتة الكبد إلى نصيحة الولد» إلا أنه لم يستمع لهذه النصيحة، وظل على موقفه؛

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٥٢.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٨٤.

(٣) نال ابن الجوزي محنة في أواخر عمره تعرض فيها لشتى أنواع الظلم والتنكيل، ويمكن تلخيص أسباب هذه المحنة وما حدث فيها: بأن ابن يونس وزير الخليفة العباسي الناصر قُبض عليه، فتتبع ابن القصاب الذي تولي الوزارة مكانه أصحاب ابن يونس، وكان الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي –المتهم بسوء العقيدة حيث كان شيعيًا متعصبًا – يكره ابن الجوزي ويبغضه، واصلا عند ابن القصاب، فقال له: أين أنت عن ابن الجوزي، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس، فكتب إلى الخليفة، ولبس عليه بأمر ليس في ابن الجوزي شيء منه، فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى باب دار ابن الجوزي، ودخل عليه السرداب وهو يكتب، فأسمعه غليظ الكلام وشتمه، وختم على كتبه وداره ، وأنزله في سفينة، وعليه أغلال بلا سراويل، وذهب به إلى واسط، فأقام خمسة أيام ما أكل من الطعام إلا اليسير، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، فعاش حياة صعبة، فكان يخدم نفسه، ويغسل ثوبه، ويطبخ لنفسه، ويستقي الماء من البئر، فبقيّ على ذلك خمس سنين. حتى شفع له ابنه محيي الدين يوسف عند أم الخليفة فأُطلق سراحه، وعاد إلى بغداد. للمزيد عن المحنة وتفاصيلها، راجع، الذهبي : تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ١١٠٧.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٨٤.

فهجره والده حتى وفاته [١]. توفي أبو القاسم عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م وله ثمانون سنة [٢].

– محيي الدين يوسف: كان يُكني بأبي محمد، ولد عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م[٣]، نشأ على طريق السداد والأخلاق الحميدة والتدين والنبوغ العلمي[٤]؛ الأمر الذي جعله يتولى أمر الحسبة[٥] ببغداد[٦]. توفي عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م [٧].

أما عن أولاده من الإناث فهن: رابعة أم المؤرخ الكبير «شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قِزْأُوغلي، ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م»–المعروف بسبط ابن الجوزي–، وشرف النساء، وزينب وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصغرى، وكلهن سمعن الحديث والعلم من أبيهن؛ فحس خلقهن وعملهن [٨].

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٨٤.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢٦.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ض ١٤٢.

(٤) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢٦.

(٥) الحِسْبَةُ في اللغة: مصدر من احْتَسَبَ يَحْتَسِبُ احتساباً وحِسْبَةً، وقد وردت للدلالة على عدة معانٍ كطلب الأجر والصبر، والإنكار؛ يقال: احتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله. ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٣١٤(مادة حَسَبَ). أما معناها في الاصطلاح، فقد ذكر العلماء تعريفات متعددة لها. وكلها تدور حول جانب الوظيفة والاختصاص الذي تقوم به، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. للمزيد عن الحسبة وتطورها، راجع: ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٤٠٧، نيقولا زيادة: الحسبة والمحتسب في الإسلام، الدار الأهلية للنشر، بيروت، ط١، د.ت، ص ٣٠، صفاء حافظ عبد الفتاح: نظم الحكم في الدولة العباسية، دار الثقافة، القاهرة، ط١، د.ت، ص ٢٣٦.

(٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧، أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢٦. ص٢٦.

(٧) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢٦، وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٢.

(٨) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ١١٧–١١٨، أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢٦–٢٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ١١١١.

حياته العلمية:

أولا: شيوخه وتلاميذه:

نشأ ابن الجوزي منذ صغره على حب العلم ، فقد اهتمت عمته – كانت سيدة صالحة– بتعليمه منذ طفولته، فعندما بلغ السادسة من عمره [١] ألحقته عمته بمجلس خاله أبي الفضل ابن ناصر الذي كان أول من تعلم على يديه، فقد شجعه على حب العلم والجلوس إلى الشيوخ والعلماء– وقد مر بنا حديث ابن الجوزي عنه–؛ لذلك كان شغوفا بطلب العلم، لا يلعب مع الصبيان، ولا يخالطهم في لهو أو لعب يمنعه عن حفظه للقرآن وطلب للعلم[٢].

ويحدثنا ابن الجوزي عن طفولته وكيف كان شغوفا لطلب العلم في هذه المرحلة المبكرة من حياته فيقول: «فإني أذكر نفسي ولي همّة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلا وافرا في الصغر يزيد على عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبت في الطريق مع الصبيان قط ولا ضحكت ضحكا خارجا. حتى أني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع فلا أتخير حلقة مشعبة، بل أطلب المحدث فيتحدث باليسير، فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه... ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر وأنا في زمن الصغر آخذ جزءا، وأقعد حُجَزة من الناس إلى جانب الرَّقة فأتشاغل بالعلم.»[٣]

---

(١) ابن الجوزي : لفته الكبد، ص ٣٣.

(٢) ابن كثير" أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م" البداية والنهاية، تحقيق، تحقيق، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٣، ص ٣٥.

(٣) ابن الجوزي : لفته الكبد، ص ٣٣-٣٥.(بتصرف)

وما أن دلف ابن الجوزي إلي مرحلة الشباب حتي ازداد شغفه لطلب العلم، فكان يجلس لشيوخ بغداد[١] يسمع منهم فيكتب ويحفظ ما يلقونه على طلابهم؟ فينتقل من شيخ لشيخ ومن عالم لعالم، حتى بلغ عدد شيوخه أكثر من ست وثمانين شيخًا[٢] وثلاثة من النساء ذكرهم ابن الجوزي في مشيخته[٣]، خلا عدد آخر لم يذكره ابن الجوزي، وقد عقب في مشيخته بعد ذكر شيوخه بقوله: «هذا آخر المشايخ الأكابر، وقد سمعت من جماعة غيرهم، ولي إجازات[٤] من خلق يطول ذكرهم» [٥].

---

(١) ذكر كثير من العلماء أن ابن الجوزي لم يخرج في رحلات علمية مثل غيره من العلماء- مع أن الرحلة في طلب العلم كانت من لوازم تحصيل العلوم في ذلك الوقت- فقد اقتصر على السماع من شيوخ بغداد أو من وفد عليها من العلماء. وقد اجتهد كثير من الباحثين في معرفة سبب عدم قيامه بأي رحلات علمية خارج العراق، ومنهم الدكتورة آمنة نصير التي ذكرت عدد من الأسباب لعدم قيام ابن الجوزي بأية رحلات علمية. للمزيد عن هذه الأسباب راجع: آمنة محمد نصير: ابن الجوزي، ص ٣٥،٣٦.

(٢) لقب يُطلَق في اللغة العربية علي الرجل الكبير في السن، أما كلمة شيخ في العلم، فتطلق على الشخص الذي رسخ في العلم بعد سنوات من الطلب والتحصيل، ويرتبط هذا اللقب غالبا بالعلماء من كبار السن توقيرا لهم وتعظيما لشأنهم واعترافا بحكمتهم العلمية ورزانتهم الفكرية. الأصفهاني" أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: ٥٠٢هـ /١١٠٨م"، المفردات في غريب القرآن، تحقيق، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٤٦٩، أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ،ج٢، ص ١٢٥٣.

(٣) مشيخة ابن الجوزي، تحقيق، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، عام ٢٠٠٦م، ص ٣٤ وما بعدها.

(٤) الإجازة: هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مروياته ولو لم يسمعها منه أو يقرأها عليه، كقوله: أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني. محمد محمد أبو شهبة: الوسيط في علوم مصطلح الحديث، ص ١٠٢، محمد لطفي الصباغ: الحديث النبوي، "مصطلحاته، بلاغته، كتبه"، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط٦، ١٩٩٠م، ص ١٧٣.

(٥) مشيخة ابن الجوزي، ص ١٩٨.

ومن الملاحظ أن هذا العدد من الشيوخ الذين سمع منهم ابن الجوزي قليل بالمقارنة بغيره من علماء عصره الذين سمعوا من عدد كبير من العلماء كابن عساكر[١]. أما عن سبب هذا العدد القليل من العلماء الذين سمع منهم ، فيجيب ابن الجوزي عن ذلك فيقول:« فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد لا تكثير العدد» [٢].

أما عن أشهر شيوخ ابن الجوزي فإنه لا ريب أن كل شيخ من شيوخه قد ترك تأثيرا في مسيرته العلمية، ونظرا –أيضا– لأن الدراسة غير مخصصة لابن الجوزي بصورة خاصة؛ فسوف أقتصر على ذكر واحدا فقط من هؤلاء الشيوخ الذين تركوا بصمة في حياته العلمية كما كان يذكر دائما ابن الجوزي، بجانب خاله ابن ناصر: الشيخ الأول في مسيرته، وواحدة من النساء؛ كدلالة على مكانة المرأة ودورها العلمي في حياة ابن الجوزي العلمية.

– أبو البركات، عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي[٣] البغدادي[٤]. ولد في رجب سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م [٥]. كان من أهم شيوخ ابن الجوزي وقد عبر عن مدى تأثره به عند الحديث عنه، ولا سيما في مجال

(١) بلغ عدد شيوخ ابن عساكر ألفًا وثلاثمائة من الرجـــال، وستة وأربعين من الشيوخ، ومائتين وتسعين شيخا بالإجازة ، فيكون عدد شيوخه ١٦٣٦. للمزيد راجع : الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٥٦ ، وفاء تقي الدين: مقدمة معجم الشيوخ لابن عساكر، دار البشائر، دمشق، ط١، عام ٢٠٠٠م، ج١، ص٧٠.

(٢) مشيخة ابن الجوزي، ص ١٩٨.

(٣) الأنماطي: بفتح الألف وسكون النون وفتح الميم وكسر الطاء المهملة، هذه النسبة الى بيع الأنماط وهي: الفرش التي تبسط على الأرض. السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٣٧٨.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ٥٣.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٨، ص ٣٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص ٦٨٥.

التقوى الذي تميز به ابن الجوزي في حياته، فقال:« وكان ذا دين وورع، وكان قد نصب نفسه للحديث طول النهار، وسمع الكثير من خلق كثير، وكتب بيده الكثير، وكان صحيح السماع ثقة ثبتا، وكنت اقرأ عليه الحديث وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السلف، وانتفعت به ما لم انتفع بغيره» (١). توفي الأنماطي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. (٢)

– شهدة بنت أحمد بن عمر المدعوة فخر النساء(٣) سمعت الحديث من عدد كبير من شيوخ بغداد. كانت امرأة من أولاد المحدثين متميزة فصيحة حسنة الخط، وما كان ببغداد في زمانها من يكتب مثل خطها(٤).

قال عنها ابن الجوزي:« وقرأت عليها كثيرا» (٥). توفيت عام ٥٧٤هـ /١١٧٨م(٦)، وعمرت حتى قاربت مائة سنة (٧).

---

(١) المنتظم، ج١٨، ص ٣٣-٣٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ١٣٤، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٢٢٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠ص ٢٨٨.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠ص ٢٨٨ الحموي "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م" معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق ،إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣م، ج٣، ص ١٤٢٣.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠ص ٢٨٨.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠ص ٢٨٨، ابن نقطة " محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع البغدادي، ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م"التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق ، كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص٥٠١.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج٩، ص ٤٣٨.

أما عن تلاميذه فقد تتلمذ على ابن الجوزي وروي عنه عدد كبير من طلاب العلم منهم: أبوعبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي، ت:٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وابنه محيي الدين يوسف ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وسبطه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي، ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ، وغيرهم. (١)

فكان مجلس علمه مقصدا لطلاب العلم سواء من أهل بغداد أو الوافدين إليها، فقد نقل عنه سبطه أبو المظفر أنه كان يحضر مجلسه مائة ألف شخص وتاب علي يديه مثل هذا العدد (٢)، ولكن الذهبي بعد أن نقل هذه الرواية نقدها بقوله:« ولا ريب أن هذا ما وقع، ولو وقع لما قدر أن يسمعهم، ولا المكان يسعهم» (٣).

ثانيا مؤلفاته:

كان ابن الجوزي عالما موسوعيا، فقد كتب في كل فن وعلم من العلوم والفنون المتاحة له، فلم يقصر جهده علي علم بعينه أو يركز جهده على الإحاطة بفن بذاته، فكان الطائر الذي يحط علي الأزهار بأنواعها المختلفة يستنشق رحيقها فيقطره علمًا دونّه في مؤلفاته، ويحدثنا ابن الجوزي عن عدم اقتصاره علي الاهتمام بالتأليف في علمٍ بعينه، فيقول: « إنني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم(٤) استقصاءه.» (٥)،

(١) للمزيد عن تلاميذ ابن الجوزي، راجع: سبط ابن الجوزي: مرآ الزمان، ج٢٢، ص ٩٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج٢١، ص ٣٦٦، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ١١٠.

(٢) مرآة الزمان ، ج٢٢، ص ٩٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٧٠.

(٤) صيد الخاطر، بعناية، حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط١، عام ٢٠٠٤م، ٢٠٠٤م، ص٥٠.

(٥) أروم: أصل الشجرة، أو ما يبقى منها في الأرض بعد قطعها. الفارابي"أبو نصر=

فكان ابن الجوزي يعمل علي استقصاء العلوم المختلفة لمعرفة أصولها وفروعها.

والحقيقة أن كثرة الإنتاج العلمي والإبداع الفكري كان سمة وميزة تميز بها العصر الذي عاش فيه ابن الجوزي، فهذه السمة تعتبر ظاهرة صحية مرتبطة بطبيعة المجتمع العلمي وأساس تكونيه والسياسية الفكرية والعلمية التي تطورت خلال العصر الي عاش فيه (١).

واللافت للنظر أن كثير من هذه المؤلفات التي جَهِد ابن الجوزي في تأليفها قد تعرض للضياع والفقد بسبب النكبات والكوارث التي تعرضت لها البلاد الإسلامية على مر العصور، ومنها ما تعرضت له بغداد عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، فقد ذكر سبط ابن الجوزي في أحداث ذلك العام أن بغداد تعرض للغرق حتى صارت تلالاً وتعرضت كثير من الكتب للغرق ومنها مؤلفات جده (٢). وأيضا بسبب ما تعرضت له من البيع على يد ابنه أبي القاسم علي الذي استولى علي مصنفات والده، وباعها بأبخس الأثمان(٣).

=إسماعيل بن حماد، ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م" الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص ١١٨٧، أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص ٨٦.

(١) ناجية عبد الله إبراهيم: قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي، دار زهران، عمان، ط١، عام ٢٠٠٢م، ص ١٣-١٤ .

(٢) مرآة الزمان، ج٢١، ص٥.

(٣) للمزيد عن مؤلفات ابن الجوزي في العلوم المختلفة ، راجع: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص ٩٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٧٤، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ١١٢، إسماعيل البابانى: هداية العارفين، ج١، ص ٢١٩، عبد الحميد العلوجي: مؤلفات ابن الجوزي، منشورات مركز المخطوطات والوثائق والتراث ، الكويت، ط١، عام ١٩٩٢م، ص ٢٥وما بعدها، محمد باقر علوان: المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي، بحث منشور بمجلة المورد، ١٩٧١م، مجلد١،عدد ٢،١، ١٨١.

وفاة ابن الجوزي:

تكاد تُجمع المصادر على أن ابن الجوزي- رحمه الله- توفي ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان عام ٥٩٧هـ[١] الموافق١٦ من شهر يونيو ١٢٠١م، وكانت وفاته بداره بقطفتا[٢] بين المغرب والعشاء بعد أن أصيب بالمرض لمدة خمسة أيام [٣].

وبعد وفاته – رحمه الله- بدأ الحاضرون في تجهيزه للدفن، فقام على غسله الشيخ ضياء الدين بن سُكينه[٤]، وضياء الدين بن الجبير وقت السحر [٥]، ثم وُضع في التابوت وحُمل إلي المكان الذي كان يُلقي فيه دروسه، فاجتمع أهل بغداد وأغلقت الأسواق، وتجمع العامة والخاصة للصلاة عليه، فصلي عليه ابنه أبو القاسم علي؛ ثم حُمل جثمانه إلي جامع المنصور ببغداد فصلي عليه الناس مرة أخرى وضاق بهم المسجد والطرق المجاورة له، وتسابق العامة والخاصة لحمل جثمانه حتى دُفن بمقبرة باب حرب بجوار الإمام أحمد بن

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٢٢، ١١٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج٣، ص ١٤٢، الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج١٢، ص ١١٠٩.

(٢) بالفتح ثم الضم، وهي محلّة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي. السمعاني: الأنساب، ج١٠، ص ٤٥٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٤، ص ٤٧٤.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٢٢، ١١٤، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص ١١٣.

(٤) أبو أحمد بن سكينة الحافظ ضياء الدّين عبد الوهاب بن الأمين علي بن علي البغدادي الصّوفي الشافعي، مسند العراق، وسكينة جدّته. ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة، وتوفي عام ٦٠٧هـ، ابن العماد : شذرات الذهب، ج٧، ص ٤٨.

(٥) يحيى بن المظفر بن علي بن نعيم، أبو زكريا، يعرف بابن الحبير. وقيل : ابن الجبير . ولد سنة ٥٤٠هـ، وتوفي في ذي الحجة ٦٠٧هـ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٧، ص ٥٧.

حنبل [١]. وحزن عليه جميع أهل بغداد حتى أنهم ظلوا طوال شهر رمضان يقيمون بجوار قبره ليلا يختمون القرآن الكريم تحت ضياء الشموع والقناديل [٢].

ومن اللافت أن سبط ابن الجوزي قد ذكر عددًا من المبالغات عند حديثه عن وفاة جده، فذكر أنه من كثرة الزحام والتسابق من الناس على حمل جثمان جده تقطع الكفن حتى أنه لم يصل عند المقبرة لدفنه إلا القليل من الكفن، كما ذكر أيضا أن يوم دفنه حدثت حرارة شديدة في بغداد لم يتحملها الناس حتى أنهم أفطروا ومنهم من ألقى بنفسه في المياه من شدة الحرارة[٣].

هذه المبالغة من أبي المظفر – سبط ابن الجوزي- دعت الذهبي لنقده في تلك الرواية، فبعد

أن نقل عنه ما حدث في دفن ابن الجوزي في تاريخ الإسلام قال: « قلت: وهذا من مجازفة أبي المظفر» [٤]. أما في سير أعلام النبلاء فعقب على ما ذكره أبو المظفر فقال: « كذا قال والعهدة عليه» [٥].

وهكذا توفي الشيخ ابن الجوزي بعد أن ترك لنا تراثا ضخما من المؤلفات في علوم شتى وميادين علمية مختلفة، تشهد له بالبراعة والتفوق العلمي.

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٢٢، ص١١٤، الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج١٢، ص ١١٠٩.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٢٢، ص١١٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٧٩.

(٣) مرآة الزمان ج٢٢، ص١١٤- ١١٥.

(٤) ج ١٢، ص ١١٠٩.

(٥) ج ١٨، ص ٣٧٩.

ثانيا: منهج ابن الجوزي في التأريخ للمخالفين له في المذهب الفقهي من خلال كتابه المنتظم

رغم تعدد الكتب التاريخية للإمام ابن الجوزي إلا أن كتابه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك يعد من أهم وأشمل الكتب التاريخية لابن الجوزي، ويعد الكتاب من نوعيه كتب التاريخ العام التي لم يهتم فيه فقط بالتاريخ الإسلامي، بل تحدث عن تاريخ الإنسان منذ بدء الخليقة، فقد تحدث عن الأنبياء من آدم – عليه السلام– حتى عيسى – عليه السلام– ثم تحدث عن تاريخ الأمم السابقة مثل الفرس والروم وملوك وحكام كل أمة من هذه الأمم.

ثم انتقل للحديث عن عصر النبوة منذ ميلاد النبيﷺ وبعثته، ثم هجرته من مكة إلي المدينة، والأحداث التي صاحبت السيرة النبوية بمرحلتيها المكية والمدنية. وتبع الحديث بعد ذلك بعصر الخلفاء الراشدين(١١–٤٠هـ/٦٣٢–٦٦٠م)، ثم عصر الدولة الأموية (٤١–١٣٢هـ/٦٦٠–٧٤٩م)، ثم تحدث عن تاريخ الدولة العباسية وخلفائها من بدايتها عام ١٣٢هـ حتي عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م، وهو العام الذي توقف فيه ابن الجوزي عن كتابة التاريخ في كتابه المنتظم[١].

ومما يميز كتاب المنتظم أنه لم يقتصر فقط علي الجوانب السياسية، ولكنه تحدث عن الجوانب الحضارية سواء الاقتصادية أو الاجتماعية والمعمارية. وقد اتبع فيه طريقة التأريخ بالسنين؛ إذ يذكر حوادث كل سنة على حدة ثم يعقبها بترجمة لأشهر من توفي فيها من الأعلام سواء من الخلفاء أو الأمراء أو الفقهاء وغيرهم من المشاهير، فقد احتوى الكتاب على ما يقرب من ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين(٣٣٧٠) ترجمة لمختلف الشخصيات.

أما عن التأريخ والترجمة للمخالفين له في المذهب، فقد كان ابن الجوزي متعصبا للمذهب الحنبلي ومن أشد المدافعين عنه؛ لذلك شن هجوما عنيفا

---

(١) المنتظم، ج ١٨، ص ٢٤٩.

على المخالفين له في المذهب خاصة من الأشاعرة والشافعية، فقد كان ابن الجوزي يبالغ كل المبالغة في مدح من يعادون المذهب الأشعري والشافعي، فيصفهم بقوله:« كان حجة»، أو «كان ثبتا »، أو «كان علي علم غزير»، أما من كان مخالفا له في مذهبه سواء أكان أشعريًّا أو شافعيًّا أو حنفيًّا، فنجده في كثير من الأحيان عند الترجمة له يقدم ذكر ما عليه من مآخذ على ما له من فضل، أو يهمل الفضل ويذكر المآخذ.

والتزاما بعنوان البحث وهو تأريخ ابن الجوزي للمخالفين له في المذهب، فسوف أذكر بعض النماذج من الذين ترجم لها ابن الجوزي من المخالفين له في المذهب، مع ذكر أقوال غيره من العلماء حتي يتبين للقارئ هل كان ابن الجوزي حقا متعصبا تجاه المخالفين له في المذهب؟ أو أنه التزم الموضوعية والتجرد عند التأريخ للمخالفين له.

ولنبدأ بالنموذج الأول:

وهو ترجمته لأبي الحسن الأشعري الشافعي(١)، فقد بدا واضحا من خلال ترجمة ابن الجوزي له تعصبه تجاه أبي الحسن الأشعري، فبعد أن بدأ في كتابه المتنظم بالتعريف باسمه وتاريخ مولده، بدأ في إظهار مثالبه، وأظهر حقده عليه، بذكره أنه كان سبب تخبط الناس وظهور الفتن المتصلة بين

(١) علي بن إسماعيل بن أبي بشر، واسمه: إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى، أبو الحسن الأشعري. ولد سنة ستين ومائتين بالبصرة ، ثم سكن بغداد . وكان معتزليا، ثم تاب من الاعتزال. وصعد يوم الجمعة كرسيا بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب من هذا المعتقد، ثم أخذ في الرد على المعتزلة، مبيناً فضائحهم. توفي عام ٣٢٤هـ. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص ٢٦٠، الذهبي : تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ٤٩٤.

الأمة، فقال: « وكان على مذهب المعتزلة[١] زمانا طويلا ثم عنَّ له مخالفتهم، وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس، وأوجبت الفتن المتصلة ... ثم تبع أقوام من السلاطين مذهبه، فتعصبوا لمذهبه وكثر أتباعه، حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي ﷺ، ودانوا بقول الأشعري»[٢].

ثم ذكر أنه بسبب هذه الفتن التي كان الأشعري سببًا فيها لمخالفته مذهب أهل السنة، كرهه الناس؛ وحاولوا قتله أكثر من مرة، فخاف على نفسه من القتل فاستأجر دارا للاحتماء بها فترة[٣].

ثم انتقص من قدره مرة ثالثة في ختام الحديث عنه بأن الناس انصرفوا عنه؛ حتى إنه بعد دفنه لم يعد الناس يلتفتون إلي قبره الذي دفن فيه – كان الناس في ذلك الوقت يعظمون قبور العلماء ويزورونها بعد وفاتهم تكريما لهم، فيقول: « وقبره اليوم عافي الأثر لا يُلتفت إليه»[٤].

---

(١) المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري. وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري. وقامت مبادئ المعتزلة على خمسة أصول عرفت عندهم بالأصول الخمسة، وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة منها الواصلية، والعمرية، والهذيلية، والنظامية، والأسوارية، وكلها تكفر بعضها بعضا. راجع: البغدادي" عبد القاهر بن طاهر بن محمود، أبو منصور، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م" الفرق بين الفرق، تحقيق، محمد عثمان الخشت، دار ابن سينا، القاهرة، ط١، د.ت، ص ٩٣، الشهرستاني «أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر بن أحمد، ت، ٥٤٨هـ /١١٥٣م» الملل والنحل، تحقيق ، أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ج١، ص٤٢، عواد عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٩٩٥م، ص٢٢.

(٢) المنتظم، ج ١٤، ص ٢٩.(بتصرف)

(٣) المنتظم، ج ١٤، ص ٢٩.

(٤) المنتظم، ج ١٤، ص ٣٠.

أما إذا انتقلنا إلي من ترجم لأبي الحسن الأشعري غير ابن الجوزي، فسوف يستبعد الباحث النقل عمن عُرف عنهم التعصب تجاه الأشعري مثل: أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي المتوفى سنة ٤٤٦ هـ/١٠٧٣م، ألف كتابا في مثالب أبي الحسن الأشعري أسمه « مثالب ابن أبي بشر»[١].أو من تعصب لأبي الحسن مثل: الحافظ ابن عساكر الذي ألف كتابا في الرد علي الأهوازي وغيره ممن تعصب تجاه الأشعري، وسماه: « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الاشعري».[٢] وسوف انقل عمن عُرف عنهم التزام الحياد والموضوعية -في غالب الأحيان-عند الترجمة للأعلام، فالذهبي (المتوفى عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ذكره بقوله:« قلت: مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، حط عليه جماعة من الحنابلة والعلماء ... ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم» [٣].

كما ترجم له السبكي(المتوفى ٧٧١هـ/١٣٦٩م) بقوله:« شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعيا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. إمام حبر وتقى بر حمى جناب الشرع من الحديث المفتري وقام في نصره ملة الإسلام فنصرها نصرا مؤزرا».[٤]

إلي غيرها من أقوال العلماء – التي لا يريد الباحث الاستغراق فيها- الذين تحدثوا عن أبي الحسن الأشعري ومكانته، ولم يذكر منهم أنه كان سببا في انتشار الفتن والاضطرابات في الدولة الإسلامية كما ذكر ابن الجوزي.

---

(١) نشر هذا الكتاب لأول مرة بمجلة الدراسات المشرقية بالمعهد الفرنسي في دمشق، عدد٢٣، ١٩٧٠م، ص ١٢٩-١٦٥ بتحقيق ميشيل ألارد.

(٢) طبعته دار الكتاب العربي ، بيروت، بطبعته الثالثة عام ١٤٠٤هـ.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ٨٦-٨٧. (بتصرف)

(٤) طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٤٧.

النموذج الثاني:

حديثه عن الخطيب البغدادي« أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الشافعي، ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م» ، فرغم أنه نقل عنه العديد من المعلومات في كتابه المنتظم، وأثني عليه في كثير من المواضع في كتابه، فإنه كان يلمزه بعبارات أظهر فيها تعصبه تجاهه، فقد وجه إليه نقدا لاذعا في مواضع متعددة ومنها، قوله: «ولكن دسائس الخطيب الباردة التي لا تخفى في أصحاب أحمد معروفة.»[١] وقال عنه أيضا: « وكان أبو بكر الخطيب قديما على مذهب أحمد بن حنبل، فمال عليه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه، فانتقل إلى مذهب الشافعي رضي الله عنه»[٢]. وذكره أيضا بقوله: « وكان في الخطيب شيئان أحدهما: الجري على عادة عوام المحدثين في الجرح والتعديل، فإنهم يجرحون بما ليس يجرح، وذلك لقلة فهمهم، والثاني: التعصب على مذهب أحمد وأصحابه»[٣]. وأيضا قوله :« وتعصبه على ابن المذهب[٤] ولأهل البدع مألوف منه، وقد بان لمن قبلنا» [٥].

أما عن سبب هذا التعصب من ابن الجوزي في حديثه عن الخطيب البغدادي، فقد أفصح ابن الجوزي عن سبب ذلك عندما أشار إلي ذلك بقوله:

(١) المنتظم، ج ١٢ ، ص ١٨.
(٢) المنتظم، ج ١٦ ، ص ١٣٢.
(٣) المنتظم، ج ١٦ ، ص ١٣٣.
(٤) أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبيل بن فروة بن واقد التميمي الواعظ الحنبلي المعروف بابن المذهب. ولدعام٣٥٥، توفي سنة ٤٤٤هـ. السمعاني: الأنساب، ج١٢، ص ١٦٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٦٤١.
(٥) المنتظم، ج ١٦ ، ص ١٣٣.

«التعصب على مذهب أحمد وأصحابه».[١] وقوله عنه: «وهذا شأنه في أصحاب أحمد».[٢]

النموذج الثالث:

شن ابن الجوزي هجوما عنيفا على السمعاني« عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت: ٥٦٢هـ /١١٦٦م» متهما إياه بأنه كان يضع الأغاليط في مؤلفاته وأنه كان يخطئ في أنساب الرجال وتاريخ وفاتهم[٣]، فيقول: « ولو أن متتبعا يتبع ما في كتابه من الأغاليط والأنساب المختلطة، ووفاة قوم هم في الأحياء، وغير ذلك من الأغاليط، لأخرج أشياء كثيرة، غير أن الزمان أشرف من أن يُضيع في مثل هذا. وهذا الرجل كانت له مشقعة[٤] عجيبة، فإنه كان يأخذ الشيخ البغدادي فيجلس معه فوق نهر عيسى[٥] ويقول: حدثني فلان من وراء النهر ويجلس معه في رقة بغداد، ويقول: حدثني فلان بالرقة، في أشياء من هذا الفن لا تخفى على المحدثين، وكان فيه سوء فهم، وكان يقول: في ترجمة الرجل حسن القامة وليست هذه عبارة المحدثين في المدح، وقال في عجوز يقرأ عليها الحديث: وهي من بيت

(١) المنتظم، ج ١٦ ، ص ١٣٣.

(٢) المنتظم، ج ١٤ ، ص ٢٨٤.

(٣) صلاح الشورى: إسهامات الخراسانيين، ص ٣٣١.

(٤) مشقعة: من مادة: شَقَعَ في الإناء: كَرَعَ فيه، الزبيدي: تاج العروس، ج٢١، ص ٢٨٨، والمقصود بها غالبا : أفعال عجيبة أو تخريجات غريبة ويُقالُ شَقَعَه بعَيْنه: إذا عانَهُ، أي: يستعين بأشياء عجيبة. ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص ١٨٥. ورد في معجم تكملة المعاجم العربية، كلمة مشقع: بالتشديد: بمعني ساخر أو السخرية. رينهارت بيتر آن دُوزِي، ترجمه، محمد سليم النعيمي ، وجمال خياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ١٩٧٩م، ج١٠، ص ٧٠.

(٥) نهر عيسي: أحد روافد نهر الفرات في العراق، كان يوجد بها قنطرة تسمى بقنطرة المحدثين يجلس عليها كثير من علماء الحديث بالعراق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص٣٢٢.

المحدثين أبوها محدث وزوجها محدث وقد بلغت سبعين أو زادت، فقال: كانت عفيفة، وهذا ليس بكلام من يدري كيف الجرح والتعديل... ومثل هذا لا يذكره عاقل ولا نرى التطويل بمثل هذه القبائح»(١).

وقال عنه أيضا واصفا إياه بالتعصب البارد:« ولكن هذا منسوب إلى تعصب ابن السمعاني على أصحاب أحمد، ومن طالع في كتبه رأى تعصبه البارد، وسوء قصده لا جرم لم يمتع بما سمع، ولا بلغ مرتبة الرواية بل أُخذ –مات– من قبل أن يبلغ إلى مراده، ونعوذ بالله من سوء القصد والتعصب»(٢).

ولكن ما ذكره ابن الجوزي من تعصب تجاه السمعاني ليس صحيحا فقد عُرف عن السمعاني الدقة في النقل والتحري قبل التأليف، ولكن هجوم ابن الجوزي علي السمعاني إنما جاء نظرا للخلاف المذهبي بين العالمين؛ فابن الجوزي كان من الحنابلة، أما السمعاني فكان من كبار علماء الشافعية – في عصره–، وقد أوضح ابن الجوزي نفسه سبب هجومه على السمعاني بأنه كان دائم التطاول ـ كما كان يرى ـ علي علماء الحنابلة فيقول: « إلا أنه كان يتعصب على مذهب أحمد ويبالغ، فذكر من أصحابنا جماعة وطعن فيهم بما لا يوجب الطعن ... فشفى أبو سعد غيظه بما لا معنى فيه في كتابه، فلم يرزق نشره لسوء قصده فتوفى وما بلغ الأمل»(٣).

وقد دافع عن السمعاني كثير من كبار العلماء مفندين مزاعم ابن الجوزي عنه، فهذا المؤرخ الكبير ابن الأثير يقول معلقا على ذلك: « وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي فقطعه. فمن جملة قوله فيه أنه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به إلى فوق نهر عيسى، فيقول: حدثني فلان بما وراء النهر، وهذا بارد جدا، فإن الرجل سافر إلى ما وراء النهر حقا، وسمع في عامة بلاده من عامة

(١) المنتظم: ج١٨، ص ١٧٩. بتصرف
(٢) المنتظم: ج١٨، ص ١٠٣-١٠٤.
(٣) المنتظم، ج١٨، ص ١٧٩. بتصرف

شيوخه، فأي حاجة به إلى هذا التلبيس البارد؟ وإنما ذنبه عند ابن الجوزي أنه شافعي، وله أسوة بغيره» [١].

كما أن الذهبي دافع عن السمعاني أمام هجوم ابن الجوزي فقال: « وقد علم العالمون بالحديث أنه أعلم منك بالحديث، والطرق، والرجال، والتاريخ، وما أنت وهو بسواء. وأين من أفنى عمره في الرحلة والفن خاصة، وسمع من أربعة آلاف شيخ، ودخل الشام، والحجاز، والعراق، والجبال، وخراسان، وما وراء النهر، وسمع في أكثر من مائة مدينة، وصنف التصانيف الكثيرة، إلى من لم يسمع إلا ببغداد، ولا روى إلا عن بضعة وثمانين نفسا؟! فأنت لا ينبغي أن يطلق عليك اسم الحفظ باعتبار اصطلاحنا، بل باعتبار أنك ذو قوة حافظة، وعلم واسع، وفنون كثيرة، واطلاع عظيم، فغفر الله لنا ولك»[٢]. كما شن هجوما عنيفا على ابن الجوزي بسبب ذلك التعصب والطعن في السمعاني فقال أيضا في تاريخ الإسلام: « ثم تنسبه إلى التعصب على الحنابلة، وإلى سوء القصد، وهذا – والله – ما ظهر لي من أبي سعد، بل والله عقيدته في السنة أحسن من عقيدتك، فإنك يوما أشعري، ويوما حنبلي، وتصانيفك تنبئ بذلك، فما رأينا الحنابلة راضين بعقيدتك ولا الشافعية، وقد رأيناك أخرجت عدة أحاديث في الموضوعات، ثم في مواضع أخر تحتج بها وتحسنها، فخَلِّنا مُسَاكَتَة[٣]» [٤].

النموذج الرابع:

شن ابن الجوزي هجوما عنيفا أيضا على ابن عساكر «أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م» نظرا للخلاف والعداء الشديد بين

(١) الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٣٥.
(٢) تاريخ الإسلام، ج١١، ص ٩٩٢-٩٩٣.
(٣) مساكتة: من سكوت الشخص وانقطاعه عن الكلام. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص ١٠٨٢.
(٤) ج١١، ص ٩٩٣.

ابن عساكر المنتمي للمذهب الشافعي والأشعري المدافع عنه بكل ما أوتي من قوة خاصة في كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الاشعري»، وبين ابن الجوزي المتعصب لمذهبه الحنبلي، ومن مظاهر ذلك التعصب أنه كان أول من أطلق عليه لقب ابن عساكر – كما ذكر بعض الباحثين– وذلك من باب الانتقاص منه والإساءة إليه(١).

ولكن يرى الباحث أن ابن الجوزي بريء من هذه التهمة، فما ذهب إليه أصحاب هذا القول ربما يحمل كثيرًا من المبالغة في أن ابن الجوزي أطلق عليه هذا اللقب من باب الإساءة والانتقاص وذلك لعدد من الأسباب:

أولها: أن الترجمة الموجزة لشخص لا تعني الإساءة له أو التقليل من شأنه كما أن الترجمة الموسعة لا تعني الإشادة به أو تمجيده، فهناك كثير من

(١) يرى بعض الباحثين مثل صلاح الدين المنجد أن ابن الجوزي كان يهدف من وراء إطلاق لقب ابن عساكر على أبي القاسم علي بن الحسن هو الانتقاص منه ومن مكانته، مبررين ذلك بعدد من المبررات منها: أن ابن الجوزي لم يفرد ترجمة موسعة لابن عساكر تليق بمكانته كعالم كبير، وأنه لم يعطه حقه ومكانته في الترجمة، وذلك لتعصب ابن الجوزي الحنبلي المذهب على ابن عساكر الذي كان ينتمي لمذهب الأشاعرة، إذ أنه كان يكن الكراهية للأشاعرة والشافعية معا، أو بداعي الغيرة منه. وشارك صلاح الدين المنجد أيضا هذا الرأي محمد عبد القادر عطا محقق كتاب المنتظم لابن الجوزي ، فقد علق في هامش التحقيق عند ترجمة ابن الجوزي لابن عساكر بقوله ج١٨، ص ٢٢٤: «انظر إلى قلة الإنصاف!!؟ يذكر هذا الرجل بهذه الترجمة ولم يخرج من دمشق أحفظ منه ويقول: «وكانت له معرفة» !! وهو أحفظ من مصنف هذا الكتاب، وما أظن مصنفه رأى مثله». للمزيد راجع : صلاح الدين المنجد: تحقيق المجلدة الأولى من كتاب تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، المجمع العلمي، دمشق، ١٣٧١هـ /١٩٥١م، صلاح الشورى: إسهامات الخراسانيين، ص ٤٨.

الشخصيات التي ترجم لهم العلماء ترجمات موسعة، لكنها حملت الانتقاص منهم والإساءة إليهم [١].

ثانيها: أن ابن الجوزي في ترجمته لابن عساكر لم يكن يقصد الإساءة لشخصه كما رأى بعضهم، فقد ذكر ابن عساكر فيمن توفي في عام ٥٧١هـ من الأكابر، كما وصفه بأوصافٍ كثيرة تدل على عدم الانتقاص منه، فيقول: «سمع الحديث الكثير»[٢]، ويقول أيضا: « صنف تاريخاً لدمشق عظيماً جدا»[٣].

ثالثها: أن كلمة عساكر في معاجم اللغة قد وردت بعدد من المعاني، لكنها لا تحمل معنى الإساءة والانتقاص، فعَسَاكِرُ جمع العَسْكر، وهي الجيش والجند، وعسكر من الرجال :عدد كثير منهم، والعَسْكر: الكثير في كل شيء، وعَسْكرُ الليل أي ظلمته، وانجلت عنه عساكر الهموم، زال همه، وشهدت العَسْكَرَيْن أي عرفة ومني[٤].

رابعها: أن اسم ابن عساكر قد اشتهر عن علي بن الحسن – ابن عساكر– وأسرته من بعده، فلو كان يحمل معنى الإساءة والانتقاص كما ذهب بعضهم لأنكره المؤرخون، وقاموا بحذفه من اسمه ومن على كتبه، ولكن وجود الاسم والإصرار عليه من جانبهم يدل على أن المسمى لا يحمل معنى الانتقاص أو التقليل من شأن ابن عساكر. والله أعلم [٥].

---

(١) صلاح الشوري: إسهامات الخراسانيين، ص ٤٨.

(٢) المنتظم، ج١٨، ص ٢٢٤.

(٣) المنتظم، ج١٨، ص٢٢٤.

(٤) الرازي" زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، ت: ٦٦٦هـ/ ١٣٦٧م" مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٠٨، أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص ١٤٩٩.

(٥) صلاح الشوري: إسهامات الخراسانيين، ص ٤٩-٥٠.

هذه النماذج الأربعة السابقة إنما هي للدلالة على فكر ابن الجوزي ومدى تعصبه تجاه المخالفين له في مذهبه الحنبلي، وقد اقتصرت فقط في هذه النماذج لمن ترجم لهم ابن الجوزي. أما المطالع لكتاب المنتظم فيما ذكره من ترجمات لأشخاص آخرين أو في سرده للأحداث التاريخية فسوف يجد ما يعبر عن تعصبه تجاه المخالفين للمذهب الحنبلي. أما عن تقييم ابن الجوزي في ميزان العلماء، فهذا ما سيأتي الحديث عنه في المحور التالي.

ثالثا: ابن الجوزي في ميزان العلماء

وبعد الحديث عن حياة ابن الجوزي الاجتماعية – مولده ونشأته وزوجاته وأبناءه– وحياته العلمية ومؤلفاته، ومنهجه في الترجمة للمخالفين له في المذهب من خلال كتابه «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» الذي يعد الأشهر بين مؤلفاته التاريخية، فسوف نختم هذا البحث بأقوال العلماء في ابن الجوزي ومكانته العلمية؛ ليتبين للقارئ مدى تأثير ذلك التعصب المذهبي من ابن الجوزي على نظرة العلماء له ومكانته العلمية بينهم.

وعملا بالموضوعية بذكر الرأي والرأي الآخر، فسوف يقوم الباحث بذكر أقوال العلماء في ابن الجوزي سواء أكان نقدا له أو ثناءً عليه. ولنبدأ أولا بذكر أقوال الناقدين لابن الجوزي في منهجه تجاه المخالفين له وسبب ذلك المنهج الذي اتبعه.

أولا: أقوال الناقدين لابن الجوزي:

ـ كان ابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) من العلماء الذين وجه نقدا شديدا لابن الجوزي في منهجه العلمي مع المخالفين له وقد عبر عن ذلك بقوله: «وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له»(١).

(١) الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ١٨٢.

ـ أما الذهبي(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) فرغم ثناءه عليه – سيأتي عند الحديث عن ثناء العلماء عليه– إلا أنه وجه نقدا له في منهجه، مبينا سبب كثرة الأخطاء في مؤلفاته وعدم مراجعته لهذه المؤلفات، فنقل عن الموفق عبد اللطيف[١] قوله: وكان كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره– أي لا يراجعه–[٢]. ثم عقب الذهبي على ذلك فقال: «قلت: هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة، وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئا لو عاش عمرا ثانيا، لما لحق أن يحرره ويتقنه.»[٣] وربما وجد الذهبي تبريرا لابن الجوزي في هذا الوهم والخلط الذي انتشر في كتبه بأن ذلك جاء من العجلة في التأليف والتحول من مصنف إلى آخر[٤].

ويؤكد محمد صديق القنوجي الهندي (ت: ١٣٠٧هـ /١٨٨٩م) ما ذهب إليه من سبقوه من العلماء في سبب كثرة الأخطاء في مؤلفات ابن الجوزي فيقول:« كثرة أغلاطه في تصانيفه، وعذرُه في هذا واضح، وهو أنه مكثر من التصانيف؛ فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، ولولا ذلك، لم تجتمع له هذه المصنفات الكثيرة، ومع هذا، فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم» [٥].

---

(١) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد، العلامة موفق الدين البغدادي الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف بابن اللباد. ولد عام٥٥٥هـ، وتوفي عام ٦٢٩هـ. ابن أبي أصيبعة " أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، ت ٦٦٨هـ /١٧٦٩م" عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ط١، د. ت، ص ٦٣٨، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٧٨.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٧٨.

(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ٩٥.

(٥) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٥٦–٥٧.

إلا أن ابن الجوزي – رحمه الله– كان يشعر بأنه سيأتي من يوجه له هذا النقد، لذلك سجل رده عليهم، فقد نقل ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ما أثاره العلماء حول هذا النقد ، فرد عليهم بما أُثر عن ابن الجوزي فقال:« ولهذا نقل عنه أنه قَالَ: أنا مُرتب، ولست بمصنف»(١).

ثانيا: أقوال المادحين:

رغم ما أورده بعض العلماء من نقد لابن الجوزي في منهجه خاصة في مجال التعصب، إلا أن ذلك لم يمنع كثير منهم من الثناء عليه ومن هؤلاء:

١ـ قال عنه ابن الدبيثي، (ت:٦٣٧ هـ/١٢٣٩م) وهو من أشهر تلاميذه والمرافق الدائم له:« صاحب التصانيف في فنون العلم من التفسير، وعلم الناسخ والمنسوخ والفقه والحديث والوعظ والتاريخ وغير ذلك من أنواع العلوم، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه وسقيمه، وفهم معانيه وفقهه، وله في المصنفات المفيدة من المسانيد والأبواب ومعرفة ما يحتج به في أبواب الفقه وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية والموضوعات وغير ذلك ما يحتاج إليه من معرفة الرجال والرواة والأسماء والكنى والألقاب. وله أيضاً في الوعظ المؤلفات الحسنة والكتب المفيدة بالعبارة الرائقة والإشارة الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن الناس في ذلك كلاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً»(٢).

٢ـ قال عنه ابن خلكان(ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):« كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة»(٣).

٣ـ تحدث عنه الإمام الذهبي(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) فقال: « كان رأسا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب،

(١) ج٢، ص ٤٨٧.
(٢) ذيل تاريخ بغداد، ج٤، ص ٤٣-٤٤.
(٣) وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٠.

ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفا بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيها، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحدا صنف ما صنف»(١).

٤ـ قال عنه ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): «أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحوا من مائتي مجلدة ، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة، هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها»(٢).

٥ـ وقال عنه ابن العماد في الشذرات(ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): «وعظ من صغره وفاق فيه الأقران، ونظم الشعر المليح، وكتب بخطّه ما لا يوصف، ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه»(٣).

(١) سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٦٧.
(٢) البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٥.
(٣) ج٩، ص ٥٣٨.

وبعد الحديث عن أثر التعصب المذهبي عند ابن الجوزي في التأريخ للمخالفين له في المذهب يمكن القول أن: أن ابن الجوزي شأنه شأن أي مؤرخ له ماله وعليه ما عليه، فله أرائه ومعتقداته وأسلوبه في الكتابة التاريخية والترجمة لمن خالفوه في المذهب.

وقد وضح لي من خلال الاطلاع على مؤلفات ابن الجوزي بصفة عامة وكتابه المنتظم بصفة خاصة أنه كان متعصبا ضد مخالفيه، إلا أن هذا التعصب كان نابعا من غيرته على الإسلام، فقد كان ينشد أن يصل المسلم إلى درجة كبيرة من الالتزام الديني والأخلاقي والتربوي؛ لذلك نجده صنف مؤلفات متعددة في مجال الأخلاق والتربية والدعوة للتدين.

كما أن هذا التعصب من ابن الجوزي كان تجاه من يرى – من وجهة نظره– أن أفكاره أو عقيدته كان فيها ما يستوجب نقده والطعن فيه، أما من كان يرى أنه ليس فيها ما يوجب الطعن كان يتحدث عنه بكل حيادية وموضوعية، فقد ترجم للعديد من الشخصيات التي تنتمي للمذهب الحنفي والمالكي والشافعي، فلم أجده متعصبا ضد هؤلاء العلماء بل نجده تحدث عنهم بكل حيادية وموضوعية، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي فعند حديثه عنه كان دائما يقول: رضي الله عنه، بل إنه كان في بعض الأحيان يقدم آراء الشافعي على ما ورد في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فقد نقل عنه سبطه أبو المظفر يوسف قوله: مذهب الشافعي في تعظيم القرآن آكد من مذهب أحمد، لأن عند أحمد يجوز للمُحدث أن يَمَسَّه، وعند الشافعي لو كان المصحف على جمل لم يجز للمُحدث أن يقوده[١].

كما أن تعصب ابن الجوزي تجاه مخالفيه في المذهب لم يكن سببه الغيرة أو الحقد، بل كان الهدف منه الوصول إلى الأمل المنشود منه في الحياة وهو كمال الدين والعقيدة والأخلاق، فلو كان هذا التعصب بدافع الحقد والغيرة لما

(١) مرآة الزمان ، ج ٢٢، ص ١٠٣.

نـال ابـن الجـوزي تلـك الشـهرة والمكانـة العلميـة بـين علمـاء التـاريخ والحضـارة الإسلامية. فرغم أوجه النقد التي وجهَّها بعض العلماء لابن الجوزي فإن ثناء بعضـهم عليـه والاعتراف بمكانتـه لـم يخـالف فيـه أي مـن علمـاء الأمـة الـذين عُرف عنهم الحيدة والإنصاف.

وفي النهاية يمكن القول: إن ابن الجوزي كانت لـه آراؤه وأفكاره التي قد نتفق مـع بعضـها ونختلف معـه فـي بعضـها الآخر، ولكن وحسبنا فـي ذلـك القـول المنسوب إلـي عددٍ من السلف، منهم الإمـام مالك ـ رحمـه الله ـ :« كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر»[1].

(١) سبق الحديث عن الآراء حول نسبة هذا القول خلال هذا البحث ، ص١٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي الأمي العربي الهادي الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد الانتهاء ـ بعون من الله وفضله ـ من هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: « التعصب للمذهب الفقهي وأثره على كتابات المؤرخين من القرن الخامس حتى نهاية الثامن الهجري «ابن الجوزي في كتابه المنتظم نموذجا». توصلت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

* أن التعصب بصفة عامة والمذهبي بصفة خاصة من أكثر الأمور التي أصابت الأمة بالجمود والتخلف الفكري، وقسمها إلى فرق متنافرة متناحرة، هوى بها إلى هواتٍ سحيقة من الخلاف والجدل؛ مما أبعدها عن قضاياها الجوهرية في وحدتها إلى اهتمامات هامشية مذهبية.

* أن التعصب قد يأخذ صورًا متعددة سواء كانت عقدية أو دينية أو سياسية متطرفة تتميز بدرجة عالية من الانغلاق والتصلب، حيث تجعل المتعصب يصادر اجتهادات الآخرين ولا يعترف لهم بوجود وإن كانوا علي صواب، فهو صاحب الحق، ومن خالفه في الرأي فهو مبتدع وضال، وإن كان على حق، ولا يمكن أن يكون بينه وبين من يخالفه في الرأي أو الاجتهاد نقطة وصول، بل إن بينهما بُعد ما بين المشرق والمغرب.

* أن الإسلام حذر كل الحذر من التعصب الأعمى، ونهى عنه؛ لما له من آثار سيئة مدمرة على المجتمع، كإثارة الفتن، وغرس مشاعر الحقد والكراهية، وسفك الدماء بين الناس، ومنع الآخرين من التعبير عن حقوقهم وأفكارهم ومعتقداتهم.

* أن التعصب للمذهب والرأي يعد من الأمور المستحدثة في الفكر والحضارة الإسلامية، فلم تشهد القرون الثلاثة الأولى من الحضارة الإسلامية ذلك

التعصب المذهبي، بل إن الرعيل الأول من علماء المسلمين بداية من الصحابة – رضوان الله عليهم– ومن تلاهم من علماء الأمة خلال هذه القرون الثلاثة كانت علاقتهم مبنيَّة على شدة احترام بعضهم بعضا، وكان كلٌّ منهم يرى أن الرأي مشترك، كما كان من آدابهم التسليم للحق بالحق، مع التمسك بالأخوة الإسلامية. ولكن مع تصاعد الخلافات السياسية التي ظهرت ونمت أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول كانت تحملها ثم تعصبت لها وسعت جهدها إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع.

* أن معظم المؤرخين قد اختلفوا في طريقة تناولهم لغيرهم من المخالفين لهم في المذهب إلي فرقتين، الأولي: المتعصبين لفكرهم الناقدين لغيرهم من المخالفين لهم في المذهب يوجهون لهم النقد الذي كان يصل بهم في بعض الأحيان إلى توجيه أقصى عبارات السب والقذف. والثانية: من لم تمنعه مخالفة غيره له في مذهبه من الحديث عنه في مؤلفاته بكل تقدير وإبراز لمكانته العلمية، مع ذكر بعض المأخذ التي أوردها بعض العلماء عليه.

* أن تعصب ابن الجوزي تجاهه مخالفيه في المذهب لم يكن سببه الغيرة أو الحقد، بل كان الهدف منه الوصول إلى الأمل المنشود منه في الحياة وهو كمال الدين والعقيدة والأخلاق، فلو كان هذا التعصب بدافع الحقد والغيرة لما نال ابن الجوزي تلك الشهرة والمكانة العلمية بين علماء التاريخ والحضارة الإسلامية. فرغم أوجه النقد التي وجهه بعض العلماء لابن الجوزي إلا أن ثناء بعضهم عليه والاعتراف بمكانته لم يخالف فيه أي من علماء الأمة الذين عُرف عنهم الحيدة والإنصاف.

قائمة المصادر والمراجع[1]

أولا: المصادر

ابن الأثير" أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ت، ٦٣٠هـ/١٢٣٢م"

الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

الأصفهاني" أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م"

المفردات في غريب القرآن ، تحقيق، صفوان عدنان الداودي، دار القلم ، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

ابن أبي أصيبعة " أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، ت ٦٦٨هـ/١٧٦٩م"

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ط١، د. ت.

البخاري" محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ /٨٧٠م"

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

البغدادي" عبد القاهر بن طاهر بن محمود، أبو منصور البغدادي، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م"

الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار ابن سينا، القاهرة، ط١، د.ت.

البيهقي" أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي، ت:٤٧٠هـ/١٠٧٧م"

(١) تم ترتيب هذه القائمة هجائيا بعد استبعاد ابن ـ أبو ـ ال من أسماء وألقاب المؤلفين.

السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

الترمذي" محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م"

سنن الترمذي، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

أبو تمام "حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ت: ٢٣١هـ/٨٤٥م"

ديوان الحماسة، شرحه وعلق عليه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الجرجاني" علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ت: ٨١٦هـ/١٤١٣م"

التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

ابن الجوزي" جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت: ٥٩٧هـ /١٢٠٠م"

صيد الخاطر، بعناية، حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط١، عام ٢٠٠٤م

لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، شرح وتحقيق، أشرف عبد المقصود، مكتبة البخاري، مصر، ط١، عام١٤١٢هـ.

مشيخة ابن الجوزي، تحقيق، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

حاجي خليفة "مصطفي بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، ت: ١٠٦٧هـ/ ١٦٦٥م"

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثني، بغداد، د.ط، ١٩٤١م.

الحاكم "أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم المعروف بابن البيع ، ت: ٤٠٥هـ/١٠١٤م"

المستدرك على الصحيحين، تحقيق، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١١/ ١٩٩٠م.

ابن حبان" محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، ت: ٣٥٤هـ /٩٦٥م"

السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه وعلق عليه السيد عزيز وجماعة من العلماء، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.

ابن حزم" أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت: ٤٥٦هـ /١٠٧٢م"

النُبذ في أصول الفقه الظاهري، تحقيق ، محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

الحموي " شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م"

معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق ،إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م.

الخطيب البغدادي "أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م"

تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ابن خلكان "أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ت : ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م"

وفيات الأعيان ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.

أبو داود "سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م"

سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، د. ت.

ابن الدبيثي " أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الدبيثي ، ت:٦٣٧ هـ/١٢٣٩م"

ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ابن الدمياطي" أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني، ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م"

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين البغدادي، تحقيق، محمد مولود خلف، وبشار عواد، مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٩٨٦م.

الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م"

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق ، بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م.

زغل العلم، تحقيق، محمد ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية ، بيروت، ط١، د.ت

سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

معجم الشيوخ الكبير، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط١، ١٩٨٨م.

الرازي" زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ،ت: ٦٦٦هـ/ ١٣٦٧م"

مختار الصحاح ، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

ابن رجب الحنبلي " أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، ت: ٧٩٥هـ/١٣٩٢م"

ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

عبد الرزاق" أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، ت: ٢١١هـ/ ٨٢٦م"

المصنف، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ الزبيدي" محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م"

تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر ، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

عقود الجواهر المضية في أدلة مذهب أبي حنيفة فيما وافق فيه الأئمة، تحقيق، محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت.

سبط ابن الجوزي" شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي، ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م"

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الرسالة ، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ م.

السبكي "تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م"

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق ، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو،
دار هجر للطباعة، بيروت ، ط٢، ١٤١٣هـ.

السخاوي "شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م"

فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

ابن سعد " أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، البغدادي، ت : ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م"

الطبقات الكبرى ، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

السمعاني "عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت: ٥٦٢هـ /١١٦٦م"

الأنساب ، تحقيق ،عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، نشر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢ م.

أبو شامة المقدسي "شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة، ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٦م"

تراجم رجال القرانين السادس والسابع" المعروف بالذيل علي الروضتين" تحقيق، محمد زاهد الكوثري، دار الجيل ، بيروت، ط١، د.ت.

مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة الصحوة الإسلامية ، الكويت، د.ط.

الشهرستاني "أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر بن أحمد، ت، ٥٤٨هـ /١١٥٣م"

الملل والنحل، تحقيق، أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

الصفدي" صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ، ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م"

الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الطبراني "سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م"

المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٤م.

الطبري" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري، ت : ٣١٠هـ /٩٢٢م "

تاريخ الرسل والملوك، ويليه "صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ/٩٧٩م " دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

ابن عساكر "أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م"

تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م.

ابن العماد" عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، أبو الفلاح ،ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م"

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق ،محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، بيروت ، ط١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

عياض" أبو الفضل القاضي عياض بن موسي، ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م"

ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق، مجموعة من المحققين، نشر مطبعة فضالة، المغرب، ط١، د.ت.

الغزالي" محمد بن محمد بن أحمد، ت: ٥٠٥هـ/١١١١م"

إحياء علوم الدين، دار المعرفة ، بيروت، ط١، عام ١٩٨٢م.

الفارابي" أبو نصر إسماعيل بن حماد ، ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م"

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

القرطبي" أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، ت: ٦٧١هـ/١٣٥٩م"

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

ابن القيم "محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ، ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م"

أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن كثير "أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ /١٣٧٢م"

البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق ،عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

مسلم "بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م"

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، د.ت.

ابن منظور " محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ت:٧١١هـ/١٣١١م"

لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط٣، ١٤١٤ هـ.

أبو نعيم "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ /١٠٣٨م"

معرفة الصحابة، تحقيق ، عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض ، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

ابن نقطة "محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي ، ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م"

التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق ،كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

الهيثمي" أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٤م"

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة،١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

ثانيا المراجع العربية:

إبراهيم مدكور (دكتور)

المعجم الفلسفي، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د.ط، ١٩٨٣م.

أحمد زكي بدوي(دكتور)

معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" عربي ـ انجيلزي ـ فرنسي" ، مكتبة لبنان ، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

أحمد مختار عبد الحميد عمر(دكتور) بمساعدة فريق عمل

معجم اللغة العربية المعاصرة ،عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

أشرف أبو الدهب(دكتور)

المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

آمنة محمد نصير(دكتورة)

أبو الفرج بن الجوزي "آراؤه الكلامية والأخلاقية، دار الشروق ، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

الباباني" إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي"

هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، د.ط، ١٩٥١م.

بشار عواد معروف(دكتور)

الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام، مطبعة عيسي البابي الحلبي، القاهرة، ط١، عام ١٩٧٦م.

جلال محمد موسى (دكتور)

نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

حسن الباشا(دكتور)

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

خالد عبد الرحمن الجريسي(دكتور)

العصبية القبلية من منظور إسلامي، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، ط١، د.ت.

خالد كبير علال (دكتور)

التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، عمان، الأردن، د. ط، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

سعيد عبد الفتاح عاشور(دكتور)

بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته" ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره" ، عالم الكتب، بيروت ،ط١، ١٩٨٧م.

صبحي الصالح (دكتور)

علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، د . ط، ٢٠٠٩م.

صفاء حافظ عبد الفتاح (دكتور)

نظم الحكم في الدولة العباسية، دار الثقافة، القاهرة، ط١، د.ت.

صلاح الدين المنجد (دكتور)

تحقيق المجلدة الأولى من كتاب تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، المجمع العلمي، دمشق، ١٣٧١هـ /١٩٥١م.

عبد الحميد العلوجي (دكتور)

مؤلفات ابن الجوزي، منشورات مركز المخطوطات والوثائق والتراث ، الكويت، ط١، عام ١٩٩٢م.

عبد الرحمن بدوي (دكتور)

مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

عبد الستار الشيخ (دكتور)

الحافظ الذهبي« مؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين إمام المعدلين والمجروحين»، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

عبد العزيز سيد هاشم الغزولي

ابن الجوزي "الإمام المربي، والواعظ البليغ والعلامة المتقن" دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

عبد الوهاب الكيالي (دكتور) وآخرون

الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، د.ت.

علي أسعد وطفة (دكتور)

التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي، نشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات المتحدة، ط١، عام ٢٠٠٢م.

عواد عبد الله المعتق (دكتور)

المعتزلة وأصولهم الخمسة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٩٩٥م.

القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ /١٨٨٩م)

التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٧م.

الكاندهلوي

حياة الصحابة حققه، وضبط نصه وعلق عليه: بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

محمد الخضري

تاريخ التشريع الإسلامي، دار الفكر، بيروت، ط٨، ١٩٦٧م.

محمد أبو زهرة

تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، د.ت.

محمد حسين الذهبي (دكتور)

التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة، ط١، د.ت.

محمد عزة دروزة (دكتور)

التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة د.ط، ١٩٨٣هـ.

محمد لطفي الصباغ (دكتور)

الحديث النبوي، "مصطلحاته، بلاغته، كتبه"، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٩٩٠م.

محمد محمد أبو شهبة

الوسيط في علوم مصطلح الحديث، دار المعرفة، القاهرة، ط١، د. ت.

محمد مطيع الحافظ (دكتور)

الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير، دار القلم، دمشق. ط١، ٢٠٠٣م.

معتز سيد عبد الله (دكتور)

الاتجاهات التعصبية، منشورات عالم المعرفة، ١٩٨٩م.

مناع القطان (دكتور)

تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.

ناجية عبد الله إبراهيم (دكتور)

قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي، دار زهران، عمان، ط١، عام ٢٠٠٢م.

نيقولا زيادة (دكتور)

الحسبة والمحتسب في الإسلام، الدار الأهلية للنشر، بيروت، ط١، د.ت.

وفاء تقي الدين (دكتورة)

مقدمة معجم الشيوخ لابن عساكر، دار البشائر، دمشق، ط١، عام ٢٠٠٠م.

وهبة الزحيلي (دكتور)

التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ.

ثالثا: المراجع المعربة

أندرية هاينال وآخران

سيكولوجية التعصب، ترجمة، خليل أحمد خليل، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

ويستنفلد

جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة، عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١، ١٩٨٠م.

رابعا : الرسائل العلمية

صلاح الشورى

إسهامات الخراسانيين الحضارية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، ت٥٧١هـ /١١٧٦م، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية اللغة العربية بالقاهرة، ٢٠١٩م.

علي قادر زيدان

التعصب عند الإسلاميين قديما وحديثا ـ دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا ، الأردن، عام ٢٠١٢م.

خامسا: الأبحاث والدوريات:

فرج محمد الشبيلي

التعصب المذهبي وموقف المالكية منه، بحث منشور بمجلة التربوي، جامعة المرقب، ليبيا، العدد١٤، عام ٢٠١٩م.

محمد باقر علوان

المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي، بحث منشور بمجلة المورد، ١٩٧١م، مجلد١،عدد ٢،١.